صحيفة سوابق

وجريدة بوائق

الجزء الثاني

للشيخ

أبي أويس محمد بوخبزة الحسني

حفظه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الأول

في قوله بوحدة الوجود، ووجوب اعتقادها، وأنها محض الإيمان، ومن لم يؤمن بها ففي إيمانه خلل.

هذه بائقة تستتبع بوائق ثلاثا:

فالبائقة الأم (1) وحدة الوجود، يليها (2) وجوب اعتقادها (3) أنها محض الإيمان (4)من لم يؤمن بها ففي إيمانه خلل عياذا بالله.

وقبل استعراض أقوال أبي البيض في هذا المجال، نقدم كلمة في معنى وحدة الوجود، وبعض أقوال أربابها، وأصلها، ونقتصر في الغالب على أقوال صوفية المغرب، وبلدنا على الخصوص، وقد سبق لي أن كتبت فصلا مهما في هذا الموضوع أودعته الجزء الثاني من موسوعتي (جراب السائح[1])، وهذا نصه تحت عنوان (فائدة مهمة) :

يرى القارئ أن فلسفة ابن العربي الحاتمي في كتابيه (الفتوحات المكية) و(فصوص الحِكم) مبنية على وحدة الوجود وأن هذه الكلمة مع كلمتي (الاتحاد) و(الحلول) تشيع في كتب هذا القبيل من متصوفة الفلاسفة، وقد كثر الخوض فيها، والسؤال عن معانيها، واختلفت أقوال شارحيها، حتى أفردت بالتأليف، من

[1] جراب الأديب السائح 124/2 .

عبد الغني النابلسي إلى البهاء العاملي وغيرهما، وقد انتهى المطاف بجمهورهم تهويلا وتعمية، إلى أنها لا تفهم بالعبارة، وإنما بالذوق، فأحالوا عباد الله على مجهول غير معين، كما ترى عند النابلسي في (بذل المجهود) والتيجاني في (جواهر المعاني) وأبي البيض في (جؤنة العطار[1]) وأشار إليه أحمد ابن عجيبة في كتبه، وخصوصا (إيقاظ الهمم لشرح الحكم).وتفسيره (البحر المديد في تفسير القرآن المجيد).وأكده من المعاصرين أبو البيض أحمد بن الصديق كما أشرنا، والحق أن كلامهم تهويل، وينطوي على إرهاب فكري، يتمثل في تهديد من يحاول الرد عليهم، وتسفيه رأيهم الأجنبي عن الإسلام .

و لنبدأ بشرح هذه المصطلحات فنقول :

حصر ابن العربي في (الفتوحات)[2] المعلومات في أربعة لا خامس لها :

1. الوجود المطلق، يعني أن وجود الله عين ذاته وليس معلولا لشيء.

2. الحقيقة الكلية، التي بمعرفتها يعرف سائر المعلومات كلها، فإن وُصِفت بها الموجود فهي القِدم غير المسبوق بالعدم.كوجود الله، وإن وصفت بها الحادث وهو الموجود بعد العدم فهي ما سوى الله.

3. العالم الأكبر كله ما عدا الإنسان.

4. الإنسان هو العالم الأصغر.

[1] جؤنة العطار 123/1 .

[2] الفتوحات المكية 118/1 .

وأصول فكرة وحدة الوجود قديمة، تلقفها ابن العربي ومن قبله عن فلاسفة الهند، كما تراها عند أبي الريحان البيروني في كتابه (تحقيق ما للهند من مقولة، مقبولة في العقل أو مرذولة)[1]، ومؤداه أن البراهمة الوثنيين في الهند، يعتقدون أن طريق التأمل والاعتبار تجعلهم يقربون من الله، حتى أن الله بذاته يحضر في قلوبهم وضمائرهم، فتتوق النفس إلى الاتحاد به، فيحصل الاتحاد، وتذهب الإثنينية والبينية . ويستحيل الذاكر والمذكور شيئا واحدا . وقد أكد لي هذا المعنى الأخوان الدكتور محمد تقي الدين الهلالي، وأخوه محمد العربي[2] العارفان بعقائد الهند وحضارتها . إلا أن ابن العربي انفرد بأسماء خاصة تعمية وتلبيسا، فسمى أصل العالم هباء، أخذا من كلمة تنسب لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه في قوله تعالى في سورة الواقعة: (فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثّاً) (الواقعة:6) . بينما الفلاسفة القدامى يسمونها (الهيُولَى)، ومنه تصدر جميع الصور والتعينات حسب استعدادها للتأثر بالنور الإلاهي، كالسراج في بيت تضيء زواياه حسب قربها من نوره، وكان أقرب الأشياء إلى نور الله في ذلك الهباء حقيقة محمد صلى الله عليه وآله وسلم المسماة بالحقيقة المحمدية، والعقل والنفس الكلية، فكان سيد العالم بأسره، وأول ظاهر في الوجود كما في الفتوحات[3]، وأكمل مظاهر الحق في الخلق، لأن الخلق أكثر كامل للقدرة الكاملة المنزهة عن النقص، فلا يكون أكمل منه، كما قال تعالى : (قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى) (طه:50) . و(خلق آدم على صورته)، والضمير عنده يعود على الله، اعتماداً على رواية ضعيفة، وليس في الإمكان أبدع مما كان . كما قال الغزالي . لأن العالم مظهر الحق على الكمال، وقد

[1] تحقيق ما للهند .. ص 27 . وفي طبعة قديمة 43 .

[2] وللثاني كتاب ضخم في تاريخ مدنية الهند، طبع ربعه بتطوان .

[3] الفتوحات المكية 119/1 .

يتوهم الواقف على كلام ابن العربي أن فيه تناقضاً، وذلك ناشئ من سوء فهمه، وتعديد أساليبه في التعبير عن رأيه، لأنه يصرح أحيانا، ويجمجم أكثر لخطورة الحال، ولما رأى الأشاعرة يقولون أخذا من مذهب الإغريق: إن العالم واحد بعينه، مختلف بصُوَره ونِسَبه، وهم يرونه شيئا آخر غير الله تعالى، وهو يرى الوجود واحدا، قال بأن الجوهر العام المنبث في العالم، والذي جعل منه الوحدة هو الذات الإلهية .

ومن المهم التنبيه على تنوع أساليب ابن العربي في التعبير عن وحدته، وتسميتها بأسماء مختلفة، فكثرة الأسماء لا تدل على تعدد المسميات، لأن الحقيقة الكلية واحدة وهي الوجود الأول والأخير، والإنسان الكامل، وحقيقة الحقائق، والمادة الأولى ... إلى نحو عشرين اسما تطلق بعبارات مختلفة، والأصل واحد كما قال شاعرهم : [الطويل]

عباراتنـــا شـــتى وحســـنك واحـــد وكـــــل إلى ذاك الجمـــــال يشـــــير

وكما قال الشيخ محمد الحراق التطواني : [الخفيف]

حكمـــة الشـــرع أثبتتـــنيَّ لمـــا سمَّـــتِ الكـــون كلـــه بأســـامي

ونفـــى جملـــتي انفـــرادُك بالـــذات والأسمـــــاء والنعـــــوت العظـــــام

وقد ذهب بعض الباحثين إلى أنه لا فرق بين هذه الأفكار والنظريات الثلاث: وحدة الوجود، والاتحاد، والحلول، والحق أن بينهما فرقا واضحا ؛ لأن ما عدا الوحدة يقتضي الإثنينية، فالاتحاد لا بد فيه من متحِد ومتحَد به، والحلول لا بد فيه من حالٍّ ومَحَلٍّ، ولكنه رغم هذا، إذا تأمل الباحث أقوال أصحابها، وجدها تنتهي إلى الوحدة، وهي أن الحق هو الخلق والعكس .

وأصحاب الحلول قالوا : إن السالك إذا وصل إلى درجة خاصة في الصفاء، حل الله فيه، كالماء في العود الأخضر، دون تشابه أو تغاير، وصح أن يقول : [الرمل]

أنا مـــن أهـــوى ومـــن أهـــوى أنا نحـــــن روحـــــان حللنـــــا بـــــدنا

كما قال الحلاج، ويقول الحراق في التعبير عن هذا الاتحاد، وفيه معنى الحلول : [الوافر]

بـــه صـــار التعـــدد ذا اتحـــاد بـــــلا مـــــزج وذا شـــــيء أحـــــارا

وهذا كما ترى شديد الصلة بعقيدة الحلول النصرانية، وقد أفصح عن هذا أبو منصور الحلاج من كبار فلاسفة الصوفية، المقتول بسبب فكرته هذه فقال : [السريع]

ســـبحان مـــن أظهـــر ناســـوته ســـــر ســـــنا لاهوتـــــه الثاقـــــب

ثم بـــــدا في خلقـــــه ظـــــاهرا في صـــــورة الآكـــــل والشـــــارب

حـــــتى لقـــــد عاينـــــه خلقـــــه كلحظـــــة الحاجـــــب بالحاجـــــب

والناسوت طبيعة الإنسان، واللاهوت معنى الإلهية، والفرق بين الاتحاد والحلول بعد الاعتراف بالإثنينية صغير، وهو أن يتنازل الله ـ تعالى عن إفك الحلوليين ـ فيحل في بعض المصطفين من عباده عند بلوغ درجة خاصة في الصفاء كما سبق، بينما الاتحاديون يزعمون أنهم يرتفعون بأنفسهم، وتسمو أرواحهم إلى لقاء الله تعالى، حتى تفنى فيه، أو تتحد به، ومن أجل هذا الخلط والالتباس مع وحدة الهوى في نهاية المطاف، وتنوع أساليب دعاة الوحدة والحلول والاتحاد في شرحه، والدعوة إليه، اعتبرها شيخ الإسلام ابن تيمية رضي الله عنه شيئا واحدا، وألغى هذا الفرق النظري الطفيف في ردوده المتعددة على أهل الوحدة والاتحاد والحلول، ولا حق لمن اعترض على صنيعه، هذا مع أن الهدف ظاهر، وهو المقصود الأهم عند ابن تيمية بالرد، وبيان خطره على الدين والفطرة، وتعجبني عبارة البهاء العاملي الشيعي في رسالته (الوحدة الوجودية)، في بيانها حيث يقول : (خلاصة المذهب، أن لا وجود إلا الوجود الواحد، ومع ذلك يتعدد بتعدد التَّعَيُّنَات تعينا حقيقيا واقعا في نفس الأمر، ولكن ذلك التعدد لا يوجب تعددا في ذات الوجود، كما أن تعدد أفراد الإنسان لا يوجب تعددا في حقيقة الإنسان) .

وقد كثرت أقوال هؤلاء جدا في بيان معتقدهم هذا، والدعوة إليه بشتى الأساليب شعرا ونثرا، وأشدهم إيغالا في هذا عمر ابن الفارض المصري، لا سيما

في تائيته الكبرى المسماة "تائية السلوك" . ومعظم شعره في هذا، ولرقته المتناهية، وجمال شعره، وصوره البلاغية، ومحسناته البديعية، انتشر شعره انتشار النار في الهشيم، وتغنى به المنشدون، ورقص على إيقاعه الراقصون في الزوايا الصوفية في الشرق والغرب، ويليه أبو الحسن الشُشتَري الأندلسي في أشعاره وأزجاله، ويحاكيه من بعيد محمد الحراق التطواني، مع وضوح الفكرة وتقريبها للأذهان، وأغلب شعره الموزون والملحون ينعق بها، مع أنه في الملحون والزجل أشعر وأمكن، فلنستمع إليه يقول : [مجزوء الرمل]

كنـــت مـــا بيـــني وبيـــني غائبـــا عـــني بأيـــني

والـــذي أهـــواه حقـــا لم يـــزل ذاتي وعيـــني

فـــانظروني تبصـــروه إنـــــــه والله أني

وقد سئل مرة وهو في درس التفسير بالجامع الكبير بتطوان عن الدليل على وجود الله، فأطرق مليا ثم رفع رأسه وقال ارتجالا : [الخفيف]

نحـــن في مـــذهب الغـــرام إن أقمنـا علـى الحبيـب أَدِلَّـهْ
أذلـــــــــــــــــه

كيـف يظهـر للعقـول سـواه وسـناه كسـا العـوالم جملـهْ

فـتراه في كـل شـيء تـراه فهـو الكـل دائمـا مـا أجَلّـهْ

فـــافن فيـــه صـــبابة وهيامـــا إنمـا الصـب مـن يعـيش مُوَلَّـهْ

فتراه في كلمته هذه يخلط وحدة الشهود بوحدة الوجود تلبيسا وتدليسا، وهدفه واحد، وهو قوله: (فهو الكل دائما ما أجله)، وقد زعم مريدوه أنه لما أنشأ هذه الأبيات وأملاها على السامعين، انشق الكرسي الخشبي الذي كان جالسا عليه، قالوا : وهو الكرسي الموجود إلى الآن بالجامع، والشق فيه ظاهر، ولكن هذه خرافة

ومن أزجاله المعبرة[1] :

نِلْـــــتُ مـــــا نَوَيْـــــتْ لمـــــا رأيـــــتُ حِـــــبِّي

وذاتي رأيـــــــــــــــــــــــــتْ

مُـــــدَّهْ لي ونَا مَهْجُـــــورْ وأنا الحبيـــــــــــــــــبْ

وَسِـــــرِّي عَـــــنِّي مَسْـــــتُورْ و هـــــــــو قريـــــــــبْ

لله يا صـــــــاحِ وَانْظُـــــــرْ ذا الأمـــــــر العجيـــــــبْ

[1] انظر ديوان الحراق بتحقيق الدكتور جعفر ابن الحاج السلمي 43 .

عـــــنِّي قـــــدْ خَفيـــــتْ وشمســـــي مـــــني تطْلُـــــعْ

وَنَا مـــــــــــــا دَرَيْـــــــــــــتْ

هـــــذا المحبـــــوبْ إذا رْضـــــا يْرضـــــى كـــــل شِـــــيءْ

وْاللِّـــــي يْهْـــــوى وْصـــــالُو ذاتُـــــو يْطْـــــوِي طَـــــيْ

وْعْلـــــــى جِهـــــــاتُو دَايِمْ مـــــا يْبْقـــــى لُـــــو رَايْ

أَنَا مَـــــــــنْ هَوِيـــــــــتْ وخَمْـــــري مِـــــنِّي اشْـــــرَبْتْ

وَعَـــــــــــــنِّي رَوَيْـــــــــــــتْ

يا طَالِـــــــــبَ الْحَقِيقـــــــا اِسْمَـــــــعْ مـــــــا أَقُـــــــولْ

مِنْـــــكَ هِـــــيَ الطَّرِيقَـــــا ولَـــــــــكَ الْوُصُـــــــــولْ

فَـــــزُلْ تَـــــرَاكَ حَقَّـــــا بَعْـــــدَ مَـــــا تَـــــزُولْ

إِلَيْـــــــــكَ انْتَهَيْـــــــــتْ ولَـــــــــيْسَ ثَمَّ غَـــــــــيْرُكْ

وَ بِـــــــــــــكَ بَقَّيْـــــــــــــتْ

ويقول في زجل آخر[1] :

مَـــا يْلِـــي فِي غْرَامَـــكْ جِهَـــاتْ كُـلْ شِـي هُـوَ عَـيْنْ الـذَّاتْ

غَـيْرْ سِـرَّكْ يْظْهَـرْ فِي قْوَالْـبْ الْمْعـانِي مَعْـــرُوفْ بِعْـــلاَيْمْ الرْضَـــا

وله من هذا الكثير، وفي شعره العربي تائية مشهورة، وهي التي يتغنى بها القوالون فيما يسمى حلق الذكر، أو(العمارة)، أي : الرقص، وقد شرحها المكي ابن سودة، وشرحه مطبوع على الحجر، كما شرحها بعده ابن القاضي العباسي الفاسي في مجلدين، وهو مخطوط، وقد نحى فيها منحى ابن الفارض على قصور في المبنى والمعنى، وفي مطلعها يقول[2] : [الطويل]

أتطلـب ليلـى وهْـي فيـك تجلّـتِ وتحســـبها غـــيرا وغـــيركَ لَيْسَـــتِ

فَـذَا بَلَـهٌ فِي مِلَّـةِ الحُـبِّ ظَـاهِرٌ فَكُـنْ فَطِنـاً ف(الغـير) عَـيْنُ القَطِيعَـةِ

[1] ديوان الحراق 47-48 .

[2] ديوان الحراق 7 .

ومن تأمل ديوانه وهو مطبوع، وجده يدور كله حول وحدة الوجود والاتحاد، وهو في شعره الموزون عالة على ابن الفارض والششتري، فتراه إذا قرأ قطعة لهما وأعجبته حاول موازنتها، يُعرف هذا بالمقارنة .

ومن أقران الحراق في هذا المجال، أحمد بن عجيبة التطواني، إلا أنه لم يستطع مجاراته في النظم، وأتى بأنظام كثيرة، إلا أنها ركيكة مختلة الوزن، ضعيفة النسج، وإنما له القدح المعلى في النثر، فقد ملأ كتبه كلها إلا القليل من هذا البلاء، وأبدأ وأعاد بأساليب متنوعة، يتخللها التكرار والألفاظ الاصطلاحية المملة، ولا سيما في تفسيره (البحر المديد)، الذي من قرأه ـ وهو مؤمن موحد ـ جزم بأنه تفسير باطني محض، وأنه من التفسير بالرأي حتما، وأنه عبث بالقرآن، نسأل الله العافية .

و له عبارة واحدة منظومة تطوي فكرته كلها حول هذا الموضوع، وهي قوله في كتابه (الفتوحات الإلهية، شرح المباحث الأصلية)[1] :

إياك أن تقـــــــــــــول أَناهْ واحْـــــذرْ أن تكـــــون سِـــــواهْ

وممن أدلى من المعاصرين بدلوه، الشيخ محمد بن الصديق الغماري، فنظم قصيدة رائية ليس له غيرها، وخمسها لنجله الأكبر أبو البيض أحمد، وهي غاية في الركاكة والاختلال والضعف، ومع هذا فمريدوه يتغنون بها ومنها : [الطويل]

شـــــربنا مـــــع ذكـــــر الحبيـــــب حـــــلاوة فهمنـــــا بهـــــا عـــــن كـــــل مـــــا يشـــــغل الفِكْـــــرا

[1] الفتوحات الإلهية 347 .

و نزّهنـــا أفكـــار العقـــول عـــن (السِـــوَى) و تِهْنـــــا دلالا عنـــــد سماعنـــــا الـــــذِّكْرا

ومالـــت منـــا الأطـــراف شـــوقا إلى اللِقـــا ففاضـــت دمـــوع العـــين والقلـــب في البُشْـــرى

وَ بَـــــدا لنـــــا ســـــرّ جَمْـــــعِ قلوبنـــــا فغبنـــا بهـــا عـــن كـــل مَـــن يـــزعم النُّكْـــرا

ذهبـــت عنـــا الأكـــدار فلـــم يبـــق لنـــا مـــع الـــذكر شـــيء يـــؤلم ســـرّا اَوْ جَهْـــرا

وبقيتها أحطُّ وأركّ، وأنزل منه درجة نظم أحمد بن عليوة المستغانمي، ففي ديوانه وهو مطبوع سخافات لا تتزن بعروض ولا ميزان، إلا النغم والغناء عندهم .

وبالجملة فإن مفاهيم هذه العقائد الضالة بينة، تدرك بأدنى تأمل، ولاسيما من خالط القوم وقرأ كتبهم وأشعارهم، ومن تصفح كتابي: ابن العربي : الفتوحات المكية، وفصوص الحِكم، أدرك بما لا يدع مجالا للشك أن الرجل، أعني : أبا البيض غال وغارق إلى ذقنه في وحل هذا البلاء الماحق، وأنه أفنى عمره في (أن لا موجود إلا الله) تعالى، وأن جميع الممكنات مظاهر له، يتجلى فيها جميعِها، لا في بعضها دون بعض، فهي ليست إلا مظاهر للحق الظاهر فيها، ولولاه لكانت عدما، ولقد أكثر ابن العربي في الاحتجاج بآيات قرآنية، وأحاديث نبوية كثير منها لا أصل له، وإن زعم أنها صحيحة من طريق الكشف، يتصدى لتفسيرها تفسيرا باطنيا يبرأ منه الله ورسوله واللغة العربية، ولا يكترث بلي أعناق الآيات وبترها عن سياقها، ليتم له الاستدلال الآثم، ويطول بنا القول لو أردنا الإتيان بأمثلة .

و قد ترسم خُطى ابن العربي، ولكن مع ضَلَـَع ظاهر، وسخف بارد، شقيق أبي البيض : أبو العسر جمال الطين في كتاب له مخطوط سماه (السوانح)، قرأته متعوذا بالله من ضلالاته، وكتبت على هوامشه تعليقات سميتها : "تحصين الجوانح من سموم السوانح" كما أشرنا .

و المقصود بيان ما ينطوي عليه هذا المذهب العريق في الضلال والسوء، من مخاطر وآثار تنعكس على قلب المرء وسلوكه، فلا يحرم حراما، ولا يرعوي عن ذنب، لأنه يعتبر نفسه مَظهراً إلاهيا في الوجود كما قال الششتري :

أنا بالله أنطـــــــــــــــــقْ ومـــــــــــن الله أسمـــــــــــعْ

وقد سمعت أحد غلاتهم بتطوان، وكان ممن يعرف الفتوحات، ويستحضر كثيرا مما فيها، يقول عن الصلاة . وقد كان لا يوقعها إلا على مرأى من الفقراء في الزاوية الحراقية ودون وضوء . ولما سألته عن هذا قال بالدارجة : (حَتَّى يُوجّدْهُمْ عَادْ يْكَلْفْهُمْ)، يعني : أنه لا وجود لسوى الله،

وقد كان الملقب العفيف –وهو الفاجر– التلمساني من الغلاة في الوحدة، يلوط بابنه، ولما أنكر عليه مرة قال له : (يا بني أنا وأنت شيء واحد) . نسأل الله السلامة والعافية، وحسن الخاتمة .

ومن الجدير بالذكر حول التلمساني هذا، ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في معرض حديثه عن الصوفية القائلين بوحدة الوجود قال : (حدثني الثقة الذي رجع عنهم، لما انكشفت له أسرارهم، أنه (يعني التلمساني) قرأ عليه فصوص الحكم لابن العربي قال : فقلت له : هذا الكلام يخالف القرآن، فقال القرآن : كله شرك،

وإنما التوحيد في كلامنا، قال : فقلت له : فإذا كان الكل واحدا، فلماذا تحرم عليَّ ابنتي وتحل لي زوجتي ؟ فقال : لا فرق عندنا بين الزوجة والبنت، الجميع حلال، لكنِ المحجوبون قالوا : حرام، فقلت : حرام عليكم)[1] .

وقد ذكر السخاوي رحمه الله في كتابه الحافل (القول المنبي، عن ترجمة ابن العربي) عن هؤلاء الاتحادية عجائب، وجلب فيه أكثر من مائة وأربعين فتوى بتضليل أو تكفير ابن العربي، والكتاب مخطوط وقد قرأته، وعندي منه صورة، وأخبرني أبو البيض أنه قرأه، وأن أولئك المفتين كلهم لم يعرفوا التصوف، ولم يشموا له رائحة، وذكرت الساعة ـ والكتاب لا تطوله يدي الآن ـ أنه ذكر عن الحافظ ابن حجر أنه سأل شيخه ابن الملقن أو البلقيني عنه فقال : هم إن كانوا يعتقدون ذلك كفار، قال : وابن الفارض ؟ قال : لا أحب ذكره، قال ابن حجر: ولِمَ ؟ والكل والهدف واحد، قال : وشرعت أذكر له أبياتا من تائية ابن الفارض، فقاطعني قائلا : هذا كفر، هذا كفر .

ومعلوم أن ابن حجر باهل أحد طواغيتهم بالقاهرة، وبعد المباهلة بشهر واحد هلك الاتحادي .

وهذه أقوال الشيخ أبي البيض في الموضوع، وأنبه إلى أنني لا أورد منها ما ذكره الأخ الأستاذ الفاضل مصطفى السفياني باحو، في كتابه المستطاب (تنبيه القاري إلى فضائح أحمد ابن الصديق الغماري) :

1. قال في جؤنة العطار من منسوختي في جواب من سأله عن قولهم : (لا يكون الصديق صديقا، حتى يشهد فيه سبعون صديقا بأنه زنديق)، بعد كلام :

[1] الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح 500/4 .

(والصديق المشهود عليه بالزندقة هو الصديق الحقيقي، وهو الصديق الكامل، العارف بالله تعالى، الغريق في بحر الوحدة، فإنه لا يصل إلى مقام الصديقية حتى يفنى عن الوجود، وعما فيه، ولا يرى إلا الله تعالى، وتظهر عليه أنوار الوحدة، وأسرار المعرفة، ومقامات الفناء، فعند ذلك يبوح لا محالة بما في آنيته، أحب أم كره، لغلبة حال السكر عليه، فإذا دام على ذلك واشتهر به، وشاع عنه، شهد عليه الفقهاء والعباد الصالحون بالزندقة، لبعدهم عن هذا المقام، وجهلهم به وبالله تعالى تمام الجهل، كما هو حالهم مع كبار العارفين، كالحلاج، وابن العربي، وابن سبعين، وابن الفارض، والششتري، وأمثالهم، فإن جل الفقهاء يشهدون عليهم بالإلحاد والزندقة، والقول بالحلول والاتحاد . وقد ألف الحافظ السخاوي مجلدا حافلا في إكفار الشيخ محيي الدين ابن العربي رضي الله عنه، سماه : (القول المنبي، في ترجمة ابن العربي)، لم يورد فيه إلا فتاوى كبار العلماء، من عصر الشيخ الأكبر كالعز ابن عبد السلام ومعاصريه، إلى طبقة شيوخه وشيوخهم، كالبلقيني والعراقي والحافظ ابن حجر وأمثالهم، وكلهم حكموا بكفره وزندقته، فهم صديقو أهل القرن السابع والثامن والتاسع، وهم نحو السبعين (قلت : بل هم أكثر من مائة وأربعين)، وما حصلت له رضي الله عنه الصديقية الكبرى، إلا بعد شهادة هؤلاء الصديقين رحمهم الله وغفر لهم، وجعلنا من حزبه المشهود عليهم، ولو كان الشاهدون ألف ألف صديق[1] .

وكتبت أنا على هامش نسختي تعليقا على هذا القول ما نصه : (لازم هذا أنهم جاهلون بالله تعالى، لا يفهمون عن الله، ولو بلغوا مليونا من العلماء، والمؤلف ومن على شاكلته، عالمون بهذا، مدركون له بالذوق، كأن أولئك لا أذواق لهم،

[1] جؤنة العطار 241/3 .

والعجب أن من أولئك أولياء حكيت لهم كرامات، وزعمت لهم "القطبانية" ؛ كابن حجر وغيره، كما في "الجواهر" و"الدرر".

2. قال في رسالة بدون تاريخ إلى ذنبه الكرفطي المدعو التليدي : (وجوده صلى الله عليه وسلم في كل مكان، بل هو الكون كله) .

قلت: تأمل قوله : (بل هو الكون كله)، فإنه يعني ما يدعونه "الإنسان الكامل"، ويقصدون أنه أكبر مظهر للإله في الأرض، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا .

3. وفي رسالة له إليه مؤرخة بـ (12 ربيع الثاني عام 1374) قال بعد كلام : (أما وحدة الوجود فوالله ما أوجد الله عارفا به تعالى من عهد آدم إلى النفخ في الصور، إلا وهو قائل بها، ذائق لها، لأنها عين المعرفة، فمن لا وحدة له، لا معرفة له أصلا، ثم ذكر أن العارفين عنده قسمان: قسم يلزم الصمت ولا يبوح بالسر، وقسم غلبهم الحال، فباحوا أو أُذِنَ لهم بالبَوْحِ فصرحوا)، إلى أن قال : (ولله در القائل : [الكامل]

أهــل الهــوى قســمان قســم مــنهمُ كتمــوا وقســم بالمحبــة باحــوا

فالكــاتمون لســرهمْ شــربوا الهــوى ممزوجــة فحمــتهمُ الأقــداح

والبــائحون بســرهم شــربوا الهــوى صــرفا فهــزهمُ الغــرام فبــاحوا

والعارف الششتري رضي الله عنه من أكثرهم بوحا بذلك في أشعاره وأزجاله، ومن أفصحها في ذلك قوله :

محبـــوبي قـــد عـــم الوجـــودْ وقـــد ظهـــر في بـــيض وســـودْ

وفي النصـــــــارى واليهـــــــودْ وفي الخنـــــــازير والقـــــــرودْ

الخ ما لست أنا على يقين من لفظه) .

قلت : تأمل قوله : (وقد ظهر في بيض وسود الخ) لتدرك ما فيه من معنى الحلول الذي ينكره أبو البيض، وقوله : (وفي الخنازير والقرود) منسجم تمام الانسجام مع قول ابن العربي:

صـــبغت فيـــه بألـــوان بلغـــن إلى عقلـــي فـــلا يرتجـــى كشـــف لتلـــــــــــــــــــــــويني

وقد أنكر أبو البيض هذا البيت، وكذب من نسبه إلى ابن العربي بدون دليل[1]، وهو مذكور في كتب الصوفية منسوبا إليه .

4. وفي رسالة منه إليه بتاريخ (3 ذي القعدة 1379)، (و يلاحظ أنها من أواخر ما كتب لأنه توفي بعدها ببضعة أشهر، الشيء الذي يدل على عدم توبته من فواقره)، ما نصه:

[1] انظر الجواب المفيد 94 .

(و قول العارف الحراق : [الوافر]

فـــذا شـــيء دقيـــق لـــيس تـــــــــــــــــــــــــدري لدقتـــه المشـــيرَ ولا المشـــارَا

بـــه صـــار التعـــدد ذا اتحـــاد بـــلا مـــزج فـــذا شـــيء أحـــارا

ومن أحسن ما عبر به عن وحدة الوجود التي من ذاقها وتحققها فهو العارف بالله، ومن أنكرها فهو الجاهل المغرور البعيد عن حقيقة التوحيد والإيمان، ومن آمن بها وسَلَّم أمرها لأهلها، فهو المؤمن الكامل، الذي يُرجى له كل خير من الله ؛ بل هو إن شاء الله من أولياء الله، وإن كان ليس عارفا به) .

قلت : تأمل هذا الكلام، لتعرف ما يلزم عليه من تجهيل بل وتكفير الصحابة والتابعين، والأئمة المجتهدين، والجماهير الغفيرة من الأولياء والصالحين، الذين درجوا وهم لا يعرفون حرفا واحدا من هذه الجراثيم المبيدة للدين والأخلاق، لأن من خصائص هذه العقيدة الخطيرة أن صاحبها لابد أن يكون إباحيا لا يعرف حلالا ولا حراما، وليكن منك على ذكر، قول العفيف ـ بل الفاجر ـ التلمساني المشار إليه آنفا، فاعلم هذا واستعذ بالله من الشيطان الرجيم .

5. وفي رسالة منه إليه بتاريخ (27 محرم عام 1380) (يلاحظ أنه كتبها قبل موته بنحو شهرين)، قال يخاطب بِرْذَوْنَهُ، ووارث شَرِّه : (وكذلك اقتصارك على من ذكرت في التصريح بوحدة الوجود مع أنك لو حكيت الإجماع المحقق

المقطوع به، لكان أولى من ذلك، لأن المعرفة هي التحقق من وحدة الوجود، ذوقا لا علما وإيمانا، فمن لم يقل بها، فوالله ما شم للمعرفة رائحة) .

قلت: هكذا يصرح أبو البيض بانعقاد الإجماع على وحدة الوجود، ولا أدري إجماع من !؟ فلعله إجماع الزنادقة ومن لا دين لهم، ولعل مصدر تلقيه الشيطان، وإلا فقل لي بربك كيف يُتَصَوَّرُ إسلامٌ وإيمانٌ دون علم ولا تعليم ولا درس إلا الذوق، وهذا القرآن والسنة بين أيدينا، يدعوان الناس إلى التوحيد الظاهر من معنى لا إله إلا الله، وعليه جردت السيوف، وفتحت الأمصار، وتفتحت الأبصار، دون أن يعرف الفاتحون من عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الآن ذوقا ولا حالا، سبحانك هذا بهتان عظيم .

6. وفي رسالة منه إليه بتاريخ (6 صفر عام 1379)، تحدث عن معية الله تعالى، وحمل على أئمة السلف، وخصوصا الإمام أحمد فقال عنه : (هكذا فعل أحمد بن حنبل في العلو، فآمن به وكفر بالمعية، هو ومن على طريقته[1]، أما نحن فنؤمن بكل ما جاء عن الله من : يد ويدين وأيد وعين وعينين وأعين، ونومن بأنه سبحانه على عرشه بذاته كما ورد فيه النص، وكذلك نؤمن بأنه تعالى معنا بهوية المعية، وهي ذاته المقدسة، فهو معنا بذاته في حين كونه فوق العرش بذاته، وتحت الأرض السابعة بذاته، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : لو دلى أحدكم بحبل لهبط على الله الخ).

[1] وهم جميع أئمة السلف، وقد حكى إجماعهم ابن عبد البر وابن القيم في كثير من كتبه، ولكنْ أبو البيض أنكر الإجماع، وكذب من حكاه بغاية العنف وسوء الأدب، كما هو بخطه على هوامش مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم في نسختي التي أهداها إلي وهي تحت اليد .

قلت: والشيخ مولع بقضية المعية، وأنها بالذات لا بالعلم، كما أجمع عليه السلف الصالح، وهو مقتضى القرآن في آية العلم : (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُم، وَلا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (المجادلة:7)، فافتتح سبحانه الآية بالعلم، وختمها بالعلم، وقد عمي عن هذا واحتج بالحديث الضعيف[1]، وفاته أن يقول عن الله تعالى وهو من لوازم إيمانه وفهمه : (إنه تعالى بذاته في الحشوش والمزابل) إلى آخر ما لا يليق بعظمته، ونتحرج من ذكره، وقد أعدى أبو البيض أشقاءه بهذا البلاء الماحق، والمقصود الأهم من الإصرار على إثبات المعية بالذات أنها مَدْرَجَة لوحدة الوجود كما نبه على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رضي الله عنه وأصحابه، وتهجم الشيخ على الإمام أحمد معهود منه، فقد وصفه بالجهل، وأنه لا يعرف طريق الجمع بين النصوص، وأنه كان يعتقد الجهة والعلو والانحياز فوق العرش، وهذا كله بهتان وافتراء، وحاشا الإمام المحتسب الصابر على الحق أن يكون كما وصف هذا الظالم لنفسه، وقد اتهمه بالنصب ومعاداة الصوفية، وقد قرأت في مناقبه رضي الله عنه قول ابن أعين فيه :

أضحى ابن حنبلَ محنةً ... وبِحُبِّ أحمدَ يُعرف

مأمونةً ... المتنسك

وإذا رأيت لأحمدٍ متنقصا ... فاعلم بأن ستوره ستُهَتَّكُ

[1] رواه أحمد والترمذي والبيهقي، قال الذهبي في "العلو للعلي الغفار" 50-51 : الحسن مدلس، والمتن منكر، ولا أعرف وجهه وقوله .

وقال الحسين الكرابيسي : (مثل الذين يذكرون أحمد بن حنبل، مَثَلُ قوم يجيئون إلى أبي قبيس (جبل بمكة)، يريدون أن يهدموه بنعالهم) .

وقال أحمد بن إبراهيم الدورقي: (من سمعتموه يذكر أحمد بن حنبل بسوء فاتهموه على الإسلام) .

قال أبو الحسن الهمذاني : (أحمد بن حنبل محنة به يُعرف المسلم من الزنديق)

قال محمد بن فضيل : (تناولت مرة أحمد بن حنبل، فوجدت في لساني ألما، لم أجد معه قرارا، فنمت ليلة فأتاني آت فقال : هذا بتناولك الرجل الصالح، فانتبهت، فلم أزل أتوب إلى الله تعالى حتى سكن) .

وانظر هذه الأخبار وأمثالها معها، مروية بأسانيد عدة في (مناقب أحمد) لابن الجوزي، و(تاريخ الإسلام) و(سير أعلام النبلاء) لابن الذهبي، ولم أذكرها ليعتد بها أمثال المؤلف وينزجر، فإنه لا يؤمن بها ولا بمن رويت له، وإنما ذكرتها للعبرة لا على طريقة المتصوفة الجهلة المتربصين بأهل العلم المصائب، للتشفي والاستغفال والابتزاز، وقد عرفت بالمخالطة والاطلاع التام على الأحوال، ما جرى لأبي البيض من المحن والدواهي منذ ثورته الحمقاء على الإسبانيين إلى أن مات، فبعد الاعتقال والتغريم والإهانة، امتحن بأمراض السكر والقلب والضغط، وقاسى منها الشدائد، ثم أزعج عن وطنه وأهله إلى مصر، فتلقى هناك رواجا من العسكر بسبب التقلبات السياسية، ووعدوه ومَنَّوه، فركن إليهم، واغتر باستدعائه إلى مجلس الأمة، وإجلاسه بشُرفة كبار الضيوف مع بعض الأمراء، وتخصيص سيارة له مع ضابط ملازم، وكان يغيظ بإظهاره ذلك موظفي سفارة المغرب، على أن هذا كله كان

بواسطة من يسميه البكباشي حسن، الذي من أجل ذلك وصفه بالولي الصالح الكامل العارف بالله، ثم

لم يلبث بعد ذلك إلا قليلا حتى أصيب بمحنة شقيقه عبد الله المعروفة، التي أتت على أحلامه من القواعد، فأصيب بذبحة صدرية قضى منها وهو يهتف باسم النبي صلى الله عليه وسلم، على عادته، ولم يلفظ بكلمة الشهادة، وأمره إلى الله، والعجب أن شقيقه عبد الله أنكر بعد قدومه المغرب عقيدة وحدة الوجود جملة وتفصيلا، كما حدثني من سمعه يجادل فيها شقيقه عبد العزيز .

7. وفي رسالة منه له بدون تاريخ قال : (و مسألة وحدة الوجود، لا ينبغي أن تخوض معه (لشخص ناظر الكرفطي فيها) في أدلتها، وعليك بحكاية إجماع أهل الله عليها من عهد آدم ! ! إلى النفخ في الصور، وكبار العارفين كلهم مصرحون بها).

8. وفي رسالة منه إليه بتاريخ (17 محرم 1379)، قال : (وحديث : "إن الله خلق آدم على صورته" له معنيان : أحدهما ما ذكرته في الطباق[1] المطبوع، من أن الضمير عائد على آدم، وأنه خُلق من أول وهلة على هذه الصورة، لا كما يقوله الكفرة، من أن أصل الإنسان كان قردا ثم حصل الارتقاء، ورواية : (على صورة الرحمن)، من تصرف الرواة على حسب فهمهم في الحديث خطأ . والمعنى الثاني : على فرض عود الضمير على الله تعالى، فالله خلق آدم على صورته المعنوية، من كونه عالما قديرا مريدا، حيا سميعا بصيرا متكلما، وإن كان الأمر فيه تجوز، لأن هذه الصفات في الله تعالى غيرها في آدم، إلا أن الله يخاطب العباد بما يفهمون .

[1] أي : "طباق الحال الحاضرة لخبر سيد الدنيا والآخرة" وهو الإسم الأول ل : (مطابقة الاختراعات العصرية، لما أخبر به سيد البرية) .

وهناك معنى ثالث : إذا ذكرت الله كثيرا، وصحبت العارفين، وفتح عليك تعرفه[1]، وهو الحق الذي لا مرية فيه، ولكن إذا عرفته بعد الفتح، فأنت أول من ينكر التصريح به، ويكفر من يعتقده) .

قلت: هذا واضح كما ترى، وعيد أبي البيض لتلميذه بعدم البوح بالسر، وأنه إن أدركه بـ(الذوق) يكون أول من ينكره، ويكفر من يعتقده، بشرط الفتح، وهو يشير إلى أنه مفتوح عليه، لإعلانه بالسر ونصرته له باللسان والقلم، ولم يصب بسوء في الدنيا لسقوط حكم الإسلام، وذهاب دولته من الأرض الآن، ولله الأمر من قبل ومن بعد .

وملاحظة أخيرة في هذا الفصل، وهي أن أبا الفتوح، لم يعرج على هذه العقيدة فيما جمعه من رسائل شيخه أبي البيض، المسمى (در الغمام الرقيق)، مع أنني نقلت أقواله فيها هنا منها ! ولعل ذلك راجع إلى أن أبا الفتوح بدا له في الأمر وغير رأيه، كما في مسألة عدالة الصحابة، وتكفير الشيخ لجماعة منهم، وعلى رأسهم معاوية رضي الله عنه، بيد أنه تبين لي أنه ما زال متأرجحا بين الإيمان والكفر، فهو يجمجم ولا يُبين، فتارة يثني على دهاقنة الاتحاد كابن العربي، والششتري، وابن سبعين، وابن أضحى، والتلمساني، وحتى التجاني، وابن عجيبة، والحراق، وهلم جرا ومسخا، ويؤذن لأنعامه بالتغني بأشعارهم في طقوس (العمارة) اليهودية، بثكنته التي سماها الآن (دار القرآن) ! والقرآن بريء منها، وتارة يتظاهر بالإنكار والرد، لتحقيق المآرب، وتيسير المآدب، (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ) [الشعراء : الآية227] .

[1] يقصد أن آدم هو عين الله .

الفصل الثاني

تفسيره القرآن بالرأي وجزمه بأن رأيه المختار هو مراد الله تعالى وحلفه بالله تعالى على أنه مراده تعالى الله عن عبثه بكتابه المقدس

من المعلوم في الدين الإسلامي أن القرآن العظيم هو أصله الأول وأساسه الأصيل، وقد جمع الله فيه ما تفرق في ما قبله من الكتب والsصحف المنزلة من أسمائه وصفاته، وأحكام دينه وشريعته الموصى بها من الرسل قبله، المشار إليها بقوله عز وجل: (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ) (الشورى:13) .

وهذا الدين الأول والآخر هو توحيد الله تعالى بمعرفة أسمائه الحسنى وصفاته العلى، وقضائه وقدره الكوني والشرعي، وما يتعلق بذلك ويترتب عليه من الإيمان وضده، وثوابه وجزائه، وما أعد الله للمؤمنين والكافرين من نعيم ونَكال، وما شرع لعباده على ألسنة أنبيائه ورسله، من شرائع وأحكام، وحلال وحرام، وقواعد الإسلام والإيمان، وأنباء البعث والنشور وقصص الأنبياء، وغير ذلك من التعاليم الإلهية التي ضمنها كتابه العظيم، الذي أخبر أنه جعله (تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ)(النحل: من الآية89)) وأنبأنا بقوله (مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ)(الأنعام: من الآية38)) ولذلك قال الإمام الشافعي رحمه الله : (كل ما صح عن رسوله من السنة فهو مما فهمه من القرآن) .

وقد اتفقت كلمة علماء السلف الصالح أن التصدي لتفسيره من الصعوبة بمكان، وتفاديا للخطأ فيه حددوا تفسيره بمراتب ثلاث :

تفسير القرآن بالقرآن، لأنه لا أحد أعلم بمراد الله منه، والقرآن مليء بهذا النوع من التفسير، وقد اعتمده كثير من علماء الحديث ومفسريه كابن كثير رحمه الله، وقيض الله له من المعاصرين شيخنا الإمام : محمد الأمين بن المختار الجكني الشنقيطي رحمه الله، فجمع فيه سِفره العظيم (أضواء البيان، في إيضاح القرآن بالقرآن) وهو مطبوع، يلي هذه المرتبة:

تفسير القرآن بالسنة: لأنه لا أحد يتقدم الرسول المخاطب به من ربه، وهو كان المقصد الأول من جمع التفاسير المسندة، كتفسير ابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه وعبد الرزاق وسنيد وغيرهم، وقد جمع تفاسيرهم بحذف السند مع الأسف السيوطي رحمه الله في كتابه الجامع (الدر المنثور في التفسير بالمأثور) وقد طبع مرارا، والمرتبة الثالثة :

تفسير الصحابة، رضي الله عنهم: وتفاسيرهم في الغالب يكتنفها اختلاف، إلا أنه اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد، ويجب اعتبار هذا التفسير لأنه صدر ممن شاهد التنزيل، وعرف المناسبات وأسباب النزول، وخالط الرسول صلى الله عليه وسلم، وعلم تصرفاته وأعماله، وفهم أخلاقه التي كانت مستمدة من القرآن كما قالت زوجه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: (كان خلقه القرآن)[1].

فإذا لم يوجد تفسير في هذا المراتب، وقلما يفقد، لجأ المفسر إلى اللغة العربية وأساليبها، ومعرفة سَنَن العرب في كلامها، فإنه واجد بإذن الله في ذلك ما يكفي

[1] رواه مسلم (746).

ويشفي، إلا أنه قبل هذا وبعده، لابد من مراعاة أحكام وآداب يجب توافرها في المفسر، حتى لا يقع في المحظور إن هو أرخى العنان لهواه ونحلته، فيَضِلُّ ويُضِلُّ، وقد كان الأولون في عافية من هذا المأزق، لكونه غير معروف يومئذ، فلما تعددت المذاهب والنحل، وتكاثرت البدع والأهواء، اقتحم الضالون العقبة، فتجرأوا على تفسير القرآن بأهوائهم وعقائدهم، وكان منهم الصوفية الذين بالغوا في الافتيات على الله، وقَوَّلوه سبحانه ما لم يقل، فظهرت تفاسيرهم التي أُقسِمُ بالله بارّا غير حانث أنها عبث بالقرآن، وتلاعب بأغراضه ومعانيه، وهذه تفاسيرهم بين أيديكم، للنيسابوري والمهايني وإسماعيل حقي، والتستري والسُّلَمي والوربجيبي والقُونوي والقُشَيْري وابن عجيبة، وهي بدون شك من التفسير بالرأي المذموم، والأمر في غنى عن التحذير والنهي، فإن مجرد تصوره كاف في اجتنابه، والنفور منه، وقد ورد عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال: (أي سماء تظلني، وأي أرض تقلني إذا قلت في القرآن برأي أو قلت فيه بما لا أعلم) [1] . وورد عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه مثل هذا في تساؤله عن معنى (الأب)، أما في المرفوع من الحديث فلا يصح، وهو ما رواه الترمذي وأبو داود عن جندب بن عبد الله مرفوعا : (من قال في كتاب الله عز وجل برأيه، فأصاب فقد أخطأ)[2] وفي سنده سهيل بن أبي حازم، لا يحتج به. وعن ابن عباس مرفوعا : (من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار)[3] .

---

[1] رواه سعيد بن منصور (39) ومن طريقه البيهقي في المدخل (792) وابن حزم في الإحكام (213/6) . قواه ابن حجر في الفتح (271/13) وصححه ابن حزم في المحلى (61/1) .

[2] رواه أبو داود (3652)والترمذي (2953)وضعفه الألباني .

[3] رواه أحمد(233/1) والترمذي (2950) .

وفي رواية أخرى عنه : (اتقوا الحديث عني إلا ما علمتم، فمن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار، ومن قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار) [1].رواه أحمد في المسند والترمذي، ومداره على عبد الأعلى بن عامر الثعلبي وهو ضعيف .

ومزاولة أبي البيض هذا النوع من التفسير بالرأي المذموم كثير في كلامه، بل إنه أملى في منفاه تفسيرا من سورة البقرة إلى سورة الناس، سماه (الإقليد، في تنزيل كتاب الله على أهل التقليد) في مجلدين ما زالا مخطوطا، ومنهجه أنه ما مر بآية في ذم المشركين والصابئين وأهل الكتاب والمنافقين إلا وأنزلها على المقلدين من المسلمين دون تمييز ولا تفصيل، في أسلوب مشعر بأنهم المراد لا غيرهم، والتقليد المبتدع ما اتصف به فريق من الفقهاء المتعصبين، لا التقليد كله، لأنه معلوم أنه لا مفر منه للعوام وأشباههم مِن مَن لا دراية لهم ولا فهم، ولست في حاجة إلى التمثيل، فإنه كما قلت تنزيل للقرآن الكريم على الأبرياء من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وفيهم من يعدهم أبو البيض أولياء عارفين صالحين، وإن أنكر كونهم مقلدة، وهو بذلك يحاول ستر الشمس بالغربال .

والكتاب الآخر الذي تورط فيه في هذا الخبل هو(مطابقة الاختراعات العصرية، لما أخبر به سيد البرية) وهو مطبوع، وقد ملأه بالأحاديث الواهية والموضوعة، يوردها أحيانا بأسانيدها ويسكت، وهو يعلم أنها كذب، وهو بذلك داخل في وعيد حديث : (من حدث عني بحديث يُرى أنه كذب فهو أحد

[1] رواها أحمد(323/1) والترمذي (2951) والحديث ضعفه الألباني في ضعيف الترمذي .

الكاذبَيْنِ)، وحديث (إن كذبا عَلَيَّ ليس ككذب على أحد، فمن كذب عليَّ فليرد النار) والحديثان صحيحان.

وقد انفرد أبو البيض بقاعدة أصَّلَها في مصطلح الحديث لا علم للناس بها، وهو مجتهد في كل شيء، حتى في اللغة، والقاعدة أن الحديث إذا أورد مطابقا للواقع فهو صحيح بقطع النظر عن سنده، وقد تبعه على هذه القاعدة الغمارية شقيقه أبو العسر، فإنه كان مهووسا بهذا النوع من أحاديث الملاحم وأشراط الساعة.

وقد أورد أبو البيض طائفة من الآيات، زعم أنها مطابقة لما ظهر في هذا الوقت من المخترعات، كالطائرة والغواصات، والسيارات والقطارات، والدراجات والقنابل الذرية، والتلغراف والتليفون إلخ، يصرح في أثناء ذلك بأن المعنى الذي فسَّرها به هو الصحيح الواقع، ومن زعم غيره من مفسري السلف فهو جاهل معذور، وقد استولى عليه هذا الفهم، وولع به حتى انتهى به المطاف إلى الافتيات على الله، والحلف على مراده، وقال في قوله تعالى من سورة البقرة : (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ) (البقرة:8) إلى قوله (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)(البقرة: من الآية20) بعد أن أورد وجوها عدة في ترجيح ما رآه وَحْدَهُ صوابا، وهو أن المراد بهذه الآيات كلِّها العصريون الحزبيون عموما، والاستقلاليون والإصلاحيون بالمغرب خصوصا، لِما كان بينه وبينهم من عداء مستحكم، حمله على تسمية جمال عبد الناصر وعلال الفاسي في طبعته الأولى، زاعما أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر بمدح جمال وذم علال، وأورد في تفسير الآية عن سلمان الفارسي أثرا لا يصح، أن أهل هذه الآية لم يأتوا بعد، وهو مسبوق بهذا النقل، وما ترتب عليه من فهم من عدوه

اللدود، يوسف النبهاني فإنه أشار إلى ذلك في شرحه لرائيته الصغرى المطبوعة ضمن ديوانه، كما أن احتجاجه بتلك الآية لم يكن من استنباطه، بل سبقه إليه شقيقه الشيخ الزمزمي في رسالته المخطوطة (كشاف الأخدان، عما في القرآن، من أمور ظهرت في هذا الزمان). وقد قرأها أبو البيض وسطا على ما فيها من مزاعم حول تلك الآيات وكتب عليها بخطه، وقال بعد هذا كله من المطابقة[1] :

(أما منافقو زمانه صلى الله عليه وسلم فلم يحصل منهم فساد في البقعة الصغيرة، التي كانوا بها مطلقا، فضلا عن أن يحصل منهم في الأرض، بل ما صدر منهم مما يسمى فسادا في الأرض مقدار شعرة بالنسبة لثور مما صدر من هؤلاء، بل لم يصدر من أولئك فساد أصلا، إلا ما كان في نفوسهم من الكفر الحاصل عليهم، وهو النفاق فكيف يمكن حمل الآية عليهم وهم أبرياء منها !!).

تأمل هذا الكلام الذي يتضمن تكذيبا غير مباشر لله تعالى، وتحديا للقرآن الذي لاحق المنافقين في عشرات الآيات.

ثم قال أبو البيض:

(فأقسم بالله تعالى أن الله تعالى ما أراد بالآيات الكريمات إلا هؤلاء المارقين، وأنه لو رآهم المفسرون من السلف، لقطعوا بذلك، ورجعوا عن تنزيلهم الآيات على منافقي عصر النبي صلى الله عليه وسلم).

وأذكر هنا ما اتفق لي حول هذا الموقف مع شيخنا الإمام المجدد بحق لعلوم الحديث والأثر، أبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله، حيث زرته

[1] مطابقة الاختراعات العصرية 70 .

للمرة الأولى بمنزله بالمدينة النبوية عام 1382 هـ، فذاكرني في موضوع أبي البيض وتآليفه، وكتابه (المطابقات) واستنكر ما ارتكبه فيه من مصائب، منها تسمية جمال وعلال، والزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم أشار إليهما، ومنها وهو أكبرها إقسام أبي البيض على مراد الله تعالى، فليت شعري، هل أوحي إليه بذلك؟!

فأجبته وأنا مستغرب غاية : بأن ذلك كان من رد الجميل للعسكر بمصر، فقال الشيخ: (وهل يكون رد الجميل على حساب القرآن والحديث؟!) فأمسكت ولم أحر جوابا.

الفصل الثالث

قوله بفناء النار أو أن عذابها ينقلب عذابا ونعيما وتنويهه بكلام ابن القيم في ذلك في كتابه (حادي الأرواح وغيره)

مما اتفق عليه علماء السلف الصالح في ما يرجع إلى العقيدة، إيمانهم بوجود الجنة والنار الآن، وأنهما باقيتان لا تفنيان أبدا ولا تبيدان، إعمالا للنصوص المتواترة المتكاثرة في القرآن والسنة، بحيث أصبحت هذه المسألة من البدهيات التي يستشنع الخلاف فيها، ولم يخالف فيها إلا أبو الهذيل العلاف المعتزلي الهالك، ومن تبعه مستدلين بفلسفة بائرة، مفادها استحالة دوام حركة بلا انقطاع إلى ما لا نهاية، حتى حُكِيَّ عنه من شناعته قوله بأنه لا بد أن يأتي على أهل الجنة والنار يوم تبطل فيه حركاتهم، وتتوقف نهائيا، وتبعه على هذا الضلال المبين الشيخ الأكفر محمد بن علي بن العربي الصوفي، فذكر في الفتوحات أنه سيأتي على النار يوم تصفق فيه أبوابها، وينبت فيها الجرجير (اسم نبات) وذلك لخلوها، ولم يلحظ الإمام المجتهد الداعية ابن القيم إجماع من يعتد بهم من أئمة السلف على بقاء الجنة والنار، وعدم فنائها، ووثق بفهمه واجتهاده واستقلاله فأعلن رأيه دون مواربة بعد أن أطال في الاستدلال، ودفع الاشتباه والاحتمال، ببيانه المشرق، ونفسه الفقهي العالي، حيث من قرأه وتدبره مليا انساق معه متأثرا برأيه، مأخوذا بقوة وعيه، وذلك في كتابه العجاب (حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح) وغيره .

وهذا ما وقع لأبي البيض، فرجح مذهب ابن القيم، ثم اضطرب بسبب إعجابه بقول إمامه الأكفر ابن العربي، وقد حكي هذا القول عن شيخ الإسلام ابن تيمية فيما أورده ابن القيم في حادي الأرواح وحكاه عن بعض الصحابة، والجدير بالذكر أن الإمام ابن القيم رحمه الله وشيخه رجعا عن ذلك كما يستفاد

من كلامهما الكثير في العقيدة السلفية التي لم تحد قيد أنملة عما أجمع عليه السلف[1].

وبعد هذا نأتي بكلام أبي البيض في رسالة منه إليَّ، وهي مما سطا عليه أبو الفتوح فأورد بعضها في (در الغمام الرقيق) ما نصه[2] :

(ومسألة فناء النار، قد ذكر ابن القيم أدلتها، فشفى وكفى، وتبعه بعض كبار العارفين (يعني ابن العربي الحاتمي والتعبير به (وتبعه) خطأ لأن هذا كان قبل ابن القيم بزمان)، وصرح بأنه يأتي عليها يوم ينبت فيها الجُرجير، وإن أجاب الشعراني عن ذلك بأن المراد الطبقة العليا طبقة عصاة المؤمنين، لا درجات الكفار، والأدلة متضاربة، إلا أن أدلة القول بفناء نفسها كما يقول ابن القيم أو للألم مع بقاء صورة العذاب كما يقوله الشيخ الأكفر أرجح (وهو خبر إلا أن أدلة ...)ويكفي صفة الرحمة مع غلبتها لصفة الغضب، وسبقيتها أيضا، إذ لا معنى لهذه السبقية والغلبة، إلا ظهور أثرها وانقطاع الغضب، فالأمر دائر بين انقلاب العذاب عذوبة، وذهاب الألم به مع بقاء الصورة تحقيقا للوعيد كما يقول الشيخ الأكفر، وبين ما يقوله غيره من الفناء على أن هذا القول قد يرجع إلى قول الشيخ الأكبر بأن المراد بالفناء ذهاب الألم وانقطاع العذاب لا صورته التي هي في الحقيقة عين النعيم، فالقولان عندي سواء في المعنى، وإلى ذلك نميل، وبه ندين الله تعالى) .

ويلاحظ أن أبا الفتوح رد على شيخه هذا بمنتهى الأدب[1] وهذا عجيب، ولو كان أبو البيض حيا ما جرؤ أبو الفتوح على مخالفته، ثم إن المتأمل في كلام أبي

[1] وانظر رفع الأستار لإبطال أدلّة القائلين بفناء النار للصنعاني . وما قرره شيخنا الألباني بمقدمتها في هذا المقام .

[2] در الغمام الرقيق ص 226 فقرة رقم 186 .

البيض يدرك أنه لم يفطن لتناقض ابن العربي في كلامه بين حكمه بفناء النار حتى ينبت فيها الجرجير، وتصفق أبوابها لفراغها وخلوها عن نزلائها، وبين حكمه ببقاء صورتها تحقيقا للوعيد إلا أن عذابها ينقلب عذبا حلوا ونعيما، ورغم هذا فقد وافقه أبو البيض وصرح أنه يميل إلى القولين المتناقضين ويدين الله تعالى بهما، وهذا من غلبة الشقاء عليه، وإلا فهل يقول مسلم بأن عذاب جهنم الذي أعده الله لأعدائه ووصفه بأبشع الأوصاف وأقبح النعوت في عشرات الآيات ينقلب عذبا ونعيما ينعم به أهل النار، وهل هذا إلا تحد لله، واستهزاء بكلامه، ومعاكسة لمراده، نسأل الله السلامة والعافية .

وهي في الحقيقة فاقرة ثانية تضاف إلى فاقرة فناء النار، وبعد هذا لا يلام شيخ الإسلام ابن تيمية رضي الله عنه إذا صرح في كثير من كلامه بأن كفر هؤلاء الاتحادية أقبح من كفر اليهود والنصارى، وهذا كلام ابن العربي نظما في الموضوع في نونية له : [الطويل]

فلم يبق إلا صادق الوعد وحده ... وما لوعيد الحق عين تعاين

وإن دخلوا دار الشقاء فإنهم ... على لذة فيها نعيم مباين

نعيم جنان الخلد فالأمر واحد ... وبينهما عند التجلي تباين

يسمى عذابا من عذوبة ... وذاك له كالقشر والقشر

[1] انظر در الغمام الرقيق، هامش صفحة 226 .

طعمـــــــــــــــــــــــــــــــه صـــــــــــــــــــــــــــــــائن

ومآل هذا الكلام أن مصير الكافرين إلى سعادة ونعيم، ونسأل الله أن يحشرهم (أي الشيخ الأكفر وأبا البيض ومن يدين بدينهم) معهم يوم القيامة، ويقال لهم : (هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ)(المطففين: من الآية17) . ويقال لهم : (اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (الطور:16) .

الفصل الرابع

قوله بجواز رؤية الله تعالى يقظة ومناما في الدنيا وادعاؤه ذلك

مسألة رؤية الله تعالى يقظة فاقرة من فواقر الدهر التي لا علاج لها إلا السيف، لأن الأنبياء والمرسلين وسيدهم وأفضلهم سيدنا محمد عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام لم تحصل لهم، وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل رأيت ربك؟ يعني في المعراج فأجاب (نور أنى أراه)، وهو صحيح لا غبار عليه[1]، وقد ورد تفسير قوله: (رأيت نورا) بأنه حجاب العظمة، وهذا كلام فصل قاطع للنزاع، وقد حرره بأسلوب علمي متين الإمام ابن أبي العز في شرح الطحاوية، وهذا كليم الله موسى بن عمران عليه السلام، طلب رؤية الله عندما كلمه في الطور، فقال : (رب أرني أنظر إليك، قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني، فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا، فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول العابدين)، فهذه الرؤية البصرية لم تحصل للمرسلين حتى كليم الله، وسيد الخلق، رغم سؤال موسى لها، فكيف يجرؤ من يدعي الصلاح والولاية على ادعائها (سبحانك هذا بهتان عظيم) .

وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال من حديث : (.. واعلموا أنه لن يرى أحد منكم ربه في الدنيا).

قال البربهاري في شرح السنة: (من زعم أنه يرى ربه في دار الدنيا فهو كافر بالله عز وجل) .

[1] رواه مسلم 261 .

ورغم آية القرآن، اقتحم سلطان العاشقين ! عمر ابن الفارض المصري، وصارح ربه قائلا:

وإذا سألتك أن أراك فاسمح، ولا تجعل جوابي لن
حقيقة تـــــــــــــــــــــــــرى

فانظر يا أخي هداني الله وإياك، إلى هذا الاستخفاف بالربوبية، والاستهزاء بعظمة الألوهية، الذي كان من نتائجه تكاثر المدعين الدجاجلة، فيحكى عن أبي يزيد البسطامي وأبي سعيد الخراز والحلاج وغيرهم، ما إن ثبت عنهم صح الحكم بردتهم وكفرهم.

وإذا بلغتَ إلى ابن العربي في الفتوحات، رأيتَ العجائب من هذه الفضائح الكفرية، فلا غرو أن يدلي بدلوه في غياب حكم الشريعة، وشيوع الفوضى والإلحاد، وإغماد سيف الحق، أبو العسر، فيزعم أنه رأى الله تعالى يقظة لا مناما، وكيف لا وتلميذه الرقيع أبو الفتوح زعم أن الله ـ سبحانه وتعالى عما يقول الأفاكون علوا كبيرا ـ تشكل في صورته، فرآه بعض براذينه، وهذا كفر ما بعده كفر، ونستغفر الله من حكايته، وحاكي الكفر ليس بكافر، وليته طوى البلاء على ما فيه، بل كتب به إلى أبي البيض، وزعم أنه أقره، وعبر له الرؤيا بالموافقة، ولم يأت بكلام شيخه بنصه لحاجة في نفسه، حتى نشره هو في كتابه (در الغمام) ونصه[1]: (والذي رأى الله في صورتك حق، لأنه لم ير الله تعالى، وإنما رأى الرب

[1] در الغمام الرقيق 149 .

بدليل قوله لك : يا رب اغفر لي، ولم يقل : يا أله، والرب هو السيد، وهو المعلم، فأنت معلمه وسيده) .

وهذا الهذيان مقبول في الجملة بخلاف كلام أبي الفتوح الموهم ما لا يجوز، ثم إن ادعاء رؤية الله يقظة إن جرت على مذهب أهل الاتحاد والوحدة، جازت عندهم لأن الله تعالى عندهم كل شيء، فكل ما تراه من حسن وقبيح هو الله، ألم تسمع غلاتهم كابن سبعين والتلمساني وابن العربي يقولون: (ليس إلا الله)، حتى سُمُّوا : (اللَّيْسِية)[1]. وكان منهم من إذا سمع نهيق الحمار يقول: لبيك .

وقد قال ابن العربي : [الطويل]

وما الكلب والخنزير إلا إلاهنا ... وما الله إلا راهب في كنيسة

كما أن كل كلام في الوجود حسنا كان أو قبيحا، أو مجونا أو كفرا، أو ردة أو ضلالا أو سخفا، نظما كان أو نثرا، فهو كلام الله تعالى، وتقدس ربنا عن هذا الكفر المبين.

كما قال ابن العربي : [الطويل]

وكل كلام في الوجود كلامه ... سواء علينا نثره ونظامه

[1] انظر جامع رسائل شيخ الإسلام ابن تيمية : **الهجر الجميل والصفح الجميل والصبر الجميل** . **39** .

ولما ادعى أبو الفتوح هذا المسخ في مبشراته بالنار، استنكرته بلساني فبلغه إنكاري، وكان يومئذ في أوج سُعاره بُعَيْد وفاة أبي البيض، وهو بصدد بناء الزاوية وجمع الأنعام حوله. فكتب رسالة (الإعلام بجواز رؤية الله في المنام) وطبعها، وهي عبارة عن عريضة سباب وطعون، وقذف صريح، يطالب بإثباته شرعا وإلا أقيم عليه حد القذف .

ولما قرأتها رددت عليه يومها برسالة سميتها (بيان إلى الدجال القرمطي، عبد الله الكرفطي) أو (نشر الإعلام بمروق الكرفطي من دين الإسلام) وبعد نحو أربعين سنة من كتابتها، وقعت بيد الأخ الأستاذ الداعية عمر الحدوشي (فك الله أسره)، فاستأذنني في طبعها فأذنت وطبعها، وأثنى عليها من وقف عليها، لأنها تضمنت حقائق واضحة، ودلائل نيرة، علاوة على حكاية إجماع الحنفية على اعتبارها ردة وكفرا، ومعلوم أن رؤية الله في المنام صحت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قوله (رأيت ربي في أحسن صورة...) هذا اللفظ الثابت بخلاف (رأيت ربي في صورة شاب أمرد) ونحوه فإنه لا يصح. ولكن هذا ومثله كالوحي ومشاهدة الجنة والنار من شأن النبوة لا يجوز القياس عليه.

وهذا هو السر في أن هذه الرؤيا لم تثبت ؛ بل لم تجئ عن الصحابة والتابعين، لأنهم كانوا أعرف بالله تعالى، وأخشى لله أن يدعوا ما لا يجوز ولا يعقل.وما يحكى عن الثوري والإمام أحمد وغيرهما من أئمة السلف لا ثقة به. ويحتاج قبل الخوض في معانيه والمراد منه إلى نقد أسانيده، ثم تكاثر ذلك حتى ادعاه من هبّ ودبّ، كأبي البيض الذي أورد في جؤنته رؤياه لربه التي هي عبارة عن صحون من الأطعمة تأتي من ورائه وتنزل بين يديه، فعبرها هو بأن ذلك التصرف كان من الله. وأن تلك

الأطعمة إكرام من الله له في مقابلة صبره على عداوة أشقائه له. هذا مفاد الرؤيا وتعبيرها، اعتمدت فيها على الذاكرة، لأن الكتاب بعيد عني .

وقريب من هذا الخور ما يحكى عن الصوفية ونحوهم، فإنهم جميعا إذا سئلوا ماذا رأوا ؟ . وهو سؤال طبيعي . أخرسوا وجمجموا ولم يفصحوا ؛ لأن في الإفصاح تشبيها وتجسيما، وهو كفر والعياذ بالله . ولذلك لجأوا إلى التأويل، وأن المراد بالرؤيا الرمز والمثال . ولا أدري رمز من ولا مثال من ؟ ألا يكفي هذا للزجر عن ادعاء الرؤيا؟

الفصل الخامس

قوله بجواز ؛ بل واستحباب الاستغاثة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، بله التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم . وقد استغاث بالنبي صلى الله عليه وسلم وهتف باسمه وحده، وبعده مباشرة لفظ نفسه الأخير.

مسألة التوسل إلى الله بالأنبياء والأولياء والاستغاثة بهم فيما لا يدخل تحت مقدرة العباد من المسائل التي قتلت بحثا ودرسا . وألفت فيها سلبا وإيجابا عشرات الكتب والرسائل، وأول من توجه إليها بجد، وأفاض في بيان غوائلها وتفاصيلها شيخ الإسلام ابن تيمية رضي الله عنه، وألف فيها (قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة)، كما ألف في الاستغاثة رسائل، وكتب فيها فتاوى، وجاء بعده وبعد تلاميذه إمام الدعوة ومجدد رسوم التوحيد الشيخ محمد بن عبد الوهاب التميمي النجدي وأبناؤه وأحفاده، فتصدى للخرافيين من الصوفية ومقلدة الفقهاء الذين أجازوا التوسل والاستغاثة مطلقا .

وكان منهم بطبيعة الحال المغاربة، فإن فقهاءهم وصوفيتهم كانوا غارقين في هذا الوحل إلى الأذقان، بل لم يكن استنكار ذلك يخطر على بال، إلى أن أرسل إليهم الإمام محمد بن سعود رسائل يدعوهم فيها إلى تجريد التوحيد، وتحقيق العقيدة، فأفاقوا وكأنهم كانوا في نوم أهل الكهف . واختلف فقهاؤهم في الرد عليه، فمنهم من أيد الدعوة وأثنى عليها ومدح إمامها كالشيخ حمدون ابن الحاج، ولكنه سرعان ما نكص على عقبيه، ويظهر أن السبب بيئة المغرب المبنية على الجهل والخرافة، وانعدام الشجاعة الأدبية، والجهل بالحديث والآثار وفهمها على منهج السلف الصالح، لا الخلف الطالح .

و مثل هذا بالضبط وقع لفقهاء الزيتونة بتونس فقد رد على الأمير السعودي الشيخ سالم بوحاجب، والشيخ إسماعيل التميمي، وردودهما تنادي عليهما بالجهل بالتوحيد الحق . والإغراق في التقليد والتعصب، وظل الأمر كذلك إلى أن ظهر بالمغرب الشيخ عبد الله السنوسي الفاسي، فأعلن بالدعوة السلفية، واشتهر بذلك، وألقى دروسا بالقرويين وطنجة وغيرهما، حمل فيها على عقيدة الأشاعرة، والطرق الصوفية والتقليد الأعمى في الأصول والفروع، وعقدت معه مجالس للمناظرة بمحضر السلطان كان له الشفوف فيها عليهم، فقربه الملك عبد العزيز وحماه منهم، وقام بشؤونه .

وكان للرجل رحلات وولع بالتجول واقتنى كتبا لنفسه، وعرف قيمة آثار ابن تيمية وابن القيم والذهبي وأقرانهم من علماء السلف، فعكف عليها واستبطنها حافظا واعيا داعيا إليها بيد أنه مع الأسف لم يؤلف شيئا فيما نعلم .

وهذا الرجل وحده هو الذي يستحق أن ينعت بالسلفي الحق . ويشبهه إلى حد بعيد الشيخ الحاج عبد الرحمن النتيفي الذي كان تجانيا ثم تاب إلى الله، وأقبل على دراسة الكتاب والسنة وأخذ العقيدة منها مستعينا بابن تيمية وابن القيم، ودعا إلى ذلك باللسان والقلم، فألف في ذلك رسائل جيدة ما زالت مخطوطة، ومنها مؤلفه في الرد على أشاعرة فاس الذين عبر عنهم بالجهمية، وناظرهم بمحضر الملك محمد بن يوسف رحمه الله .

و ممن أدركناهم على هذا المنهج شيخنا الشيخ محمد بن العربي العلوي وسلفيته نظرية مغربية! وتلميذه شيخنا الدكتور محمد تقي الدين الهلالي ومؤلفاته كثيرة كلها تدور حول هذا الموضوع .

و قد ألهم الله الشيخ محمدا الزمزمي ابن الصديق الطنجي فأعلن انفصاله عن زاوية أبيه وإخوته، وأخذ يدعو إلى ذلك علنا بلسانه وقلمه فألف رسائل جيدة منها رسالة في شرح لا إله إلا الله بالغ فيها تحذيرا من نواقضها، ولما وقف عليها شقيقه أبو البيض ورآها تخالف مذهبهم كتب إلى أبي الفتوح يحثه حثا بالغا على الرد ويعده بطبعه على نفقته، فكتب هذا أوراقا ملأها سبا وشتما إرضاءا لشيخه، ولحاجة في نفسه، وأرسلها إلى شيخه، فزاد فيها فصولا وقدم وآخر، واختار لها من الأسماء : (الصارم المبيد، لما زعمه المبتدع العنيد، من الضلالات في شرح كلمة التوحيد) . وقد برهن الشيخ والتلميذ بصنيعهم هذا على أنهما لا يعلمان كلمة التوحيد

وقد عرفت عن الشيخ أبي البيض وشقيقه عبد الله أنهما لا يفرقان بين التوسل والاستغاثة مع وضوح الفرق بينهما، ويشبههما في هذا محمد سعيد رمضان البوطي في كتابه (فقه السيرة)، وقد سبق أن ذكرت في غير هذا الموضع مناظرة وقعت بيني وبين الشيخ عبد الله بمنزل صهري المريبطو بتطوان وبمحضر الفقيه التجكاني في موضوع الاستغاثة فيما لا يقدر عليه إلا الله، وأنها من الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله، وأنها تناقض قوله تعالى : (إياك نعبد وإياك نستعين)، فرد عليَّ الشيخ وصهره التجكاني بقوله تعالى عن موسى عليه السلام : (فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه...) . فأخذت أبين لهما أن هذه الاستغاثة من باب الأخذ بالأسباب العادية، وليست مما نحن فيه، وأصرا على قولهما، وكنت أعلم أن عبد الله وقع في هذا الخلط في رسالته (إتحاف الأذكياء)، وقرر فيها أن من استغاث بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله فهو مبتدع ضال بالإجماع!! وهو بقوله هدم كل ما كتب في هذه الرسالة، و(الرد المحكم المبين) . وقد نبهه شقيقه الزمزمي على وجوب التفريق بين التوسل والاستغاثة، فلم يهتد .

و المقصود التنبيه على مؤامرة أبي البيض وذنبه الأثيم أبي الفتوح على الشيخ الزمزمي بدافع الحقد والكراهية، وقد فطن الزمزمي لهذه المؤامرة وأكد في بعض رسائله[1] أن (الصارم المبيد) من وضع شقيقه فسارع أبو الفتوح إلى التكذيب .

وبين يدي الساعة خمس عشرة رسالة بخط أبي البيض إلا واحدة فبخط أخيه إبراهيم لمرضه كتبها لذنبه حول (الصارم المبيد) وما زاد فيه الشيخ وما نقص، وتسميته له وطبعه على نفقته، ورأيت أن جَلبَ عباراته في ذلك يطول، وإن كان في ذلك فائدة، وفيها ما يستطرف، ومنه . وإن كان خارجا عن الموضوع . أن الكرفطي شكا إلى شيخه عدم طلوع لحيته بغزارة، وأن نباتها لا يخرج إلا نكِدا، فأجابه الشيخ بما نصه بحروفه : (وإذا رجوت أن تطلع لحيتك بالحلق، فكَرِّطْها تَكْريطا لعلها تبادر بالطلوع والسلام) !!

ومما يحسن التنبيه عليه هنا أنه لا تخلو رسالة من رسائل أبي الفتوح وهي أكثر من مائة غالبا من رؤيا أو اثنتين، ويبادر الشيخ إلى تعبيرها لصالح ذنبه، وفيها بشريات بمقامات عالية في الولاية والمعرفة !!

ومن أطرفها رؤيا عبرها له الشيخ بقرب نزول عيسى عليه السلام، وظهور المهدي وتفسيره بأن الكرفطي سيكون من أعوانه !!

و الملاحظ أن هذه الرؤى الكثيرة مع تعبير الشيخ كلها بارت وتبخرت ولم يتحقق منها شيء . كما أن بشريات الكهان والمجاذيب لأبي البيض بمصر والشام

[1] وهي رسالة "إقامة الحجة على جواز الصلاة خلف أهل الفسق والبدعة" .

قبل وفاته بقرب الفرج لم يتحقق منها شيء ؛ إلا في خاصة نفس الشيخ فإنه مات عام 80، وبعد وفاته أشاع بعض الناس هنا بالمغرب أنه مات منتحراً فأصدر الشيخ أحمد مرسي وهو أزهري نقشبندي بياناً أنكر فيه ذلك، فرد عليه الشيخ الزمزمي ببيان مضاد مؤرخ بـ(20 ربيع الأول عام 1401)، جاء فيه مما يتعلق بالتوسل والاستغاثة، وهو من باب (وشهد شاهد من أهلها) ما نصه :

(إن ما حكاه الشيخ مرسي من أن الشيخ أحمد نادى عند موته باسم الرسول، أنا أعرف سببه لا الشيخ مرسي : إن أخي السيد أحمد كان من عادته إذا أصابته شدة أن ينادي باسم الرسول، كما هي عادة المتصوفة الجاهلين، فقد كنت معه ذات ليلة وقد أصيب بمرض خطير فصار ينادي باسم الرسول . وأنا أقرأ عليه القرآن ليذهب عنه ما يجد من المرض، فهو كان يستغيث بالمخلوق !! في آخر لحظة من حياته، وذلك أقبح من الموت بالانتحار كما هو معلوم) .

الفصل السادس

قوله بأن معية الله تعالى لخلقه مطلقة وليست بالعلم بل بالذات، وتفويضه في معاني الصفات لا في التكييف

هما في الحقيقة بائقتان :

الفاقرة الأولى : دفع معية الله تعالى لخلقه بالعلم واعتقاده أنها بالذات، والفاقرة الثانية : اعتقاده وجوب التفويض في صفات الله تعالى .

ومعلوم أن عقيدة السلف الصالح رضي الله عنهم من الصحابة والتابعين، وهم خير الناس كما في الحديث الصحيح : (خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم)، ونصوصهم في ذلك لا تحصى . ومفادها أن الله تعالى فوق عرشه العظيم كما جاءت بذلك الآيات والأحاديث النبوية، وهناك كلمتان زيدتا على الأدلة ولا تعرف عن السلف وهما :

(بذاته)، و(بائن من خلقه) . ولا داعي إليهما، وإنما زادهما من زادهما من أهل العلم تحقيقا لمعنى الاستواء، ورد فعل لمنكري علو الله على خلقه من الجهمية وأتباعهم .

ثم النص منهم على أن معية الله لخلقه نوعان: عامة وهي معية العلم، وخاصة وهي للمتقين والمحسنين من عباده، وهي معية نصرة وتأييد مع معية العلم . وفي القرآن آيات كثيرة تفيد النوعين، ومن أجمعها آية العلم كما كان يسميها السلف الصالح، وهي قوله تعالى : (ألم تر أن الله يعلم ما في السماوات والأرض ما يكون

...)، فافتتحها سبحانه بالعلم، وختمها به، فعلم منها أن معية الله تعالى بالعلم لا بالذات

والآية قاضية على نظائرها في الكتاب العزيز، وهو يفسر بعضه بعضا . ولكن الشيخ أبا البيض وجد إمامه الأكفر ابن العربي ومن سار على دربه ينعى على من يفسر المعية بالعلم، ويقول : هو تأويل مدفوع . والحق أن المعية بالذات، وتلقفها أبو البيض منه بقوة . وقصر نظره عليها ولج في التعصب ؛ لا سيما وقد وجدها مدرجة لوحدة الوجود لأنه إذا اعتقدها الإنسان بالذات يلزمه اعتقاد وجوده . تعالى وتنزه عما يقوله المبطلون . في كل مكان حتى فيما يحتقر كالحشوش والمزابل والمراحض ونحوها، وهذا يستلزم الحلول، وأهل الوحدة كأبي البيض لا يقولون به فيشطح بهم الخيال والضلال إلى اعتقاد أنه عين هذه الموجودات والأماكن، وهذا سر لجاج أبي البيض وغلوه في الموضوع، ورده للإجماع على المعية بالعلم الذي حكاه ابن عبد البر وابن تيمية وابن القيم لا سيما في كتابه (مختصر الصواعق)

وقد كتب أبو البيض على هوامش نسخته المكية الأولى يصرح بتكذيب هؤلاء الأئمة في حكايتهم الإجماع، وهو لا يستطيع أن ينقضه بنقل واحد صحيح عن أئمة السلف .

ودليله على أن المعية بالذات عموم الآيات الواردة فيها، وقوله تعالى في سورة الواقعة : (فلولا إذا بلغت الحلقوم، وأنتم حينئذ تنظرون، ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرن) .

وقد حَرِد وتنمر من رسالة لأبي الفتوح حول هذه الآية، وسخر من عامة المفسرين، وقال كيف يفسرون تبصرون بالعلم . وقد أتي من غلبة الهوى عليه، وإلا

فإن البصر يطلق لغة على الإدراك . وإذا كان المعنى بصر الرؤية فالمنفي رؤية الملائكة الحاضرين لقبض الروح.كما أنه استدل بحديث ردده مرارا، وفيه : (لو دليتم بحبل لهبط على الله)، وقد نص العلماء على ضعفه . هذا مجمل ما يتعلق بهذه البائقة .

وأما مسألة التفويض، فإن أبا البيض يذهب إليه، إلا أنه يضطرب في التعبير، فتارة يوهم الإثبات مع التنزيه الذي هو المذهب الصحيح، وتارة يوهم بكلامه التفويض، وهو بدعة كبرى، لأن مآلها الإيمان بصفات لا معاني لها، إن هي إلا جمل وكلمات وحروف مجردة، وأركسهم في هذا الضلال ما روي عن بعض السلف أنهم قالوا : (تمر كما جاءت، وتفسيرها قراءتها)[1] .

وهؤلاء لا يعنون التفويض المطلق، وإنما مقصودهم أن لا يخوضوا في تكييف المعاني المفهومة من الكلام العربي . والقرآن نزل بلسان عربي مبين . وقد سمى الله تعالى نفسه فيه بعشرات الأسماء الحسنى، وهي أسماء ونعوت، كما وصف نفسه سبحانه بعشرات الصفات، ومعلوم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم المنزل عليه والمكلف بالبيان، وأصحابه رضي الله عنهم كانوا يعلمون بسليقتهم العربية أن معاني تلك الأسماء والصفات معلومة، وأنه يجب إثباتها لله تعالى على وجه يليق بعظمته وجلاله مع ملاحظة التنزيه عن التشبيه والتعطيل إعمالا لقوله تعالى : (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)، وقد صح عن أم سلمة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت : (الاستواء معلوم والكيف مجهول)، وقد رويت الكلمة نفسها مع زيادة وقصة عن الإمام مالك رضي الله عنه

[1] انظر معارج القبول 395/1 . وأم البراهين 29 .

وللأسف، فإن أبا البيض أعدى بهذا الجرب العقدي إخوته، ولا أعرف عن واحد منهم أنه رجع عن ذلك . ومن المستحيل إرشادهم أو نصحهم بمراجعة كتب العقيدة السلفية، سواء منها القديمة أو غيرها . وإن شئت تعكير دمهم وإثارتهم فَدُلَّهم على كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، وصدق الله العظيم : (إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء) .

الفصل السابع

قوله بأن فرعون مات على الإيمان، ورده على من قال بخلاف ذلك، ودفعه لآيات القرآن الواردة بذلك بالصدر

هذه المسألة من أعظم فواقر أبي البيض وبوائقه، فقد انفرد بها –عياذا بالله– بالمغرب وبين أهله، ولم نسمع بها عن أحد قبله حتى الغلاة في التصوف الفلسفي، ولما وقفت على كلام ابن العربي فيها لم أستغربه لأن له من مثل هذه الطامة الكثير في كتابيه اللذين جمع فيهما الإلحاد من أطرافه :

(الفتوحات المكية، وفصوص الحكم)، كتبت إلى أبي البيض أسأله عنها، وأورد اعتراضات عليها هي في الحقيقة مني ؛ إلا أني كنت أنسبها لغيري درءا لغضبه وحفاظا على الصلة بيننا، وما كنت ـ علم الله ـ أنتظر منه ذلك الجواب الطافح بالمنكر العظيم، والخطأ الجسيم، والذي تنكر فيه لآيات الذكر الحكيم، المنادية بكفر الطاغية المتربب فرعون لعنه الله وأخزاه، وكان الجواب من معتقله بمدينة آزمور بتاريخ (27 جمادى الأولى عام 74)، وهو جواب طويل تناول فيه مسائل منها إيمان فرعون، وقد أورد الأخ بدر سدده الله ما يتعلق بفرعون بنصه نقلا عن نسختي التي بخط الشيخ، وأعقبه برد غير مباشر عليه لشقيقه الشيخ عبد الله سماه : (استمداد العون لإثبات كفر فرعون)، وقد كتبه في حياة شقيقه أبي البيض لأنه مؤرخ بـ(25 صفر عام 1375)، ولا أدري هل اطلع عليه أبو البيض أم لا، والغالب أنه لم يره، لأنه كان يومئذ بالمعتقل، وشقيقه عبد الله بمصر .

وقد أحسن الأخ بدر بإيراد الجواب والرد عليه، وما تخلله من تعليقات جد مفيدة، كما أن عبد الله أجاد وأفاد أيضا في رده، وأتى على بنيان أبي البيض من القواعد .

ومن أهم ما فيه : إنكار ما ذكره الشعراني المتهور من أن القول بإيمان فرعون منقول عن جماعة من السلف والخلف منهم الباقلاني، وتبعه على ذلك أبو البيض، وزاد نقله عن بعض النكرات من متصوفة العجم، وعن الصوفي الاتحادي المحترق البرزنجي المدني، ولكنه تنكب الصواب بنفيه عن ابن العربي، وهو ثابت عنه بدون شك، وإلا فما معنى تأويل الشعراني لكلامه، وقد أحسن بدر أيضا بنقله عن الفصوص وشارحها القول بإيمان فرعون .

وقد سمعت مِن كل مَن أطلعته على رسالة أبي البيض بالحرمين الشريفين ومصر من العلماء استنكارهم الشديد لهذه البائقة الموبقة، وصارحني الأخ المحدث الداعية أبو إسحاق الحويني بمنزله بكَفَر الشيخ أن هذا القول يعتبر تحديا لله تعالى ورسوله، وقبل أن أورد نص الجواب دون الرد عليه لطوله مع الإحالة على (الجواب المفيد للسائل المستفيد)[1] للوقوف عليهما .

وأنبه على فوات جد مهم للشيخ عبد الله، وهو نص قاطع للخصومة، حاسم للتردد في الموضوع، وذلك قوله تعالى : (..فأخذه الله نكال الآخرة والأولى، إن في ذلك لعبرة لمن يخشى)، فهذه الآية الكريمة نص واضح لا يحتمل التأويل، ولا يقبل إلحاد أبي البيض في كتاب الله المتجلي في تساؤله عن السر في قوله تعالى : (يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار)، فكأنه فهم أنه يتقدمهم إلى النار دونهم، فيوردهم

[1] الجواب المفيد 96 – 122 .

إياها ويرجع سالما إلى الزاوية، ومادام أن أبا البيض اختار إيمان فرعون فندعو الله تعالى أن يحشره معه، ويجعله من حزبه، كفاء دفاعه عنه، وهذا نص الجواب :

(ومسألة إيمان فرعون ألف فيها إثباتا وانتصارا للشيخ الأكبر العلامة الجامي، ورد عليه ذلك المغفل علي القاري الحنفي بكتاب سماه : (فر العون من مدعي إيمان فرعون) مطبوع بالأستانة هو والأصل المردود عليه، ولكن انبرى له العلامة الصوفي المطلع المتضلع من العلوم المعقولة والمنقولة محمد بن رسول البرزنجي فألف كتابا لطيفا سماه : (التأييد والعون لمدعي إيمان فرعون)، أتى فيه بما يبهر العقول، كما فعل في أبوي النبي صلى الله عليه وسلم، وقد قرأت الجميع والحمد لله، والتأييد عندي عليه خطه . وقد ألف كنون الفقيه الفاسي رسالة في الرد على ابن العربي قرأتها أيضا، وللعلامة الجامي كتاب سماه : (الجانب الغربي في نصرة ابن العربي) ألفه بالفارسية، وترجمه ابن رسول البرزنجي، وسماه : (الجاذب الغيبي) في مجلد كبير، أجاب فيه عن جميع ما أشكل من كلام الشيخ، ولعبد الغني النابلسي (الرد المتين) أيضا وكلاهما موجود .

وللبحث مجال في أدلة الجميع، وصاحبك الذي يقول إن الدليل على كفره قطعي، لعله لا يفهم معنى قطعي، والله تعالى يخبر عنه أنه آمن عند خروج روحه، أو عند معاينته الهلاك، وعاتبه الله على ذلك إذ تأخر بإيمانه إلى ذلك الحين . ولم يقل بعد ذلك إنه لم يقبل إيمانه، فأين الدليل القطعي الذي خرقه الشيخ رضي الله عنه ؟! ثم ما الحكمة في قوله تعالى : (ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب)، ولم يقل فرعون، وما الداعي إلى ذلك التأويل الذي يذكره المفسرون، فالمسألة اجتهادية لا قطع فيها أصلا .

وأنا قرأت رسالة البرزنجي بمصر سنة إحدى وخمسين أي منذ ثلاث وعشرين سنة، ولم يبق بذهني من أدلته شيء، إلا أنه أجاد وأفاد، على أن العارف الشعراني يقول : إن الشيخ الأكبر يتكلم على فرعون آخر غير فرعون موسى، ولكنه اعتذار ظاهر الضعف .

والفتوحات والفصوص مشحونة بالمعارف الإلهية التي عجز أن يأتي بمثلها كبار العارفين لا بالطامات، نعم هي طامات على الجهلة، لأنها سبب في هلاكهم ووقوعهم في محاربة الله تعالى بمحاربة أوليائه .

والشيخ الأكبر لا يوجد له حرف واحد في الحلول، ومحال عقلا أن يدعي الحلول، وهو ينكر وجود غير الله معه مطلقا، ففي من يحل ولا وجود لغيره معه عنده، وهذه الكائنات كلها في قوله أوهام لا حقيقة لها .

والخوض في هذا الباب صعب على أمثاله، فإما أن يؤمن بكلام أهل الله، وإما أن يسلم، وإلا فالهلاك المحقق) .

قلت : أتيت بنص كلام أبي البيض كله، لتقف على مدى غلوه في ضلاله، وتشبعه بكلام إمامه الذي كان أمة وحده في الإلحاد في دين الله والكيد له، والتلاعب بتعاليمه، الشيء الذي حدا بالمستشرق الإسباني (آسين بلاثيوس) بعد أن ترجم كلام ابن العربي إلى تسميته : (إسلام في ثوب نصراني) .

وتأمل إرهاب أبي البيض لمن يرد على أوليائه بالهلاك المحقق، وما الهلاك المحقق إلا ما هم عليه، والعبث بآياته، وقد حذا أبو الفتوح حذو شيخه في التهديد والوعيد لمن رد عليهما وحذر من أفعالهما، وهنا تحركت القريحة المكلومة، فنظمت

الساعة هذه الأبيات غيرة على الحق، وذبا عن الإسلام، وردا لكيد أعدائه، والله الموفق : [البسيط].

أبشـــــر (أبا البـــــيض) بالخســـــران من ربـــــك الواحـــــدِ القهـــــارِ، والغضـــــــــــــــــــــــــب والعطـــــــــــــــــــــــــب

قـــد كنـــت أطريـــك مغـــترا ومنـــدفعا بظـــاهر الحـــال مخـــدوعا بمنحجـــب

فتُبْـــتُ لمـــا رأيـــت الكفـــر منتشـــرا في كتبـــك الســـود مـــأخوذا مـــن العجـــــــــــــــــــــــــب

برئـــت منـــك ومـــن أولي الـــزوايا فهـــمْ قبيـــل إبلـــيس مـــن زور ومـــن شـــغب

فهـــل مـــن الـــدين والتوحيـــد معتقـــد يـــوحي بأن إلـــه العـــرش كالخشـــب

أســـتغفر الله مـــن قـــول ملئـــت بـــه رعبـــا وخفـــت مصـــيرا باديَ الوصـــــــــــــــــــــــــب

والـــرفض مـــن فيـــك يبـــدو بالوقيعـــة في صـــحب الرســـول قبيحـــا جالـــب الرهـــــــــــــــــــــــــب

أخـــوك فرعـــون مســـرور بـــذبك عـــن إيمانـــه يا حليـــف المســـخ والكـــذب

والـــــرقص والجـــــذب والتخريـــــف يا عصـــــبة الشـــــر والأحـــــلام
ديـــــــــــــــــــــــــــــــدنكم والنصـــــــــــــــــــــــــــــــب

والطبـــل والزمـــر والإنشـــاد ديـــنكم أيعبـــد الله بالأنغـــام والطـــرب؟

الفصل الثامن

قوله بتصرف الأولياء المطلق في الكون، وإيمانه بديوانهم، والقطبانية وأن القطب منهم يتصرف في ستة عشر ألف عالم، الدنيا والآخرة عالم واحد منها.

هذا الفصل ينتظم أربع فواقر، بعضها أقبح من بعض، فأولها اعتقاد أبي البيض بتصرف الأولياء في الكون، وقد تعرض لهذه الموبقة الأخ مصطفى السفياني في كتابه القنبلة العنقودية : (تنبيه القاري إلى فضائح أحمد بن الصديق الغماري)[1]، وأجاد في عرضها مع أمثلة لهذا التصرف المدعى، ومعلوم أن التصرف المعتاد طبيعي لبني آدم، لا بد منه لاستمرار الحياة، وتصرف الأولياء في الكون له مفهوم آخر غيبي تابع لاعتقادهم في القطبانية وديوان الأولياء، ومما لا شك فيه أن هذا الاعتقاد من البدع المدمرة للعقيدة الحق، فإنه لا يعرف له ذكر، ولم يكن خطر ببال أحد من المسلمين العامة، فضلا عن أهل العلم والصلاح والولاية القرآنية، لأنه من الغرابة بمكان أن يكون مع الله شريك يدبر أمر العالم فيتصرف كيف شاء استقلالا، فيفقر ويغني، ويمرض ويصح، ويسعد ويشقي، ويولي ويعزل، ودعك من قولهم تدليسا وتلبيسا : إن ذلك بأمره وإذنه، فبالله تصرفهم لا بأنفسهم . وهذا لا مفهوم له، فإن كل ما يجري بقضاء الله وقدره وأمره، ثم إن هؤلاء المتصوفة غلوا في هذه المسألة غلواً بالغا، فلم يقصروا التصرف على أحيائهم ؛ بل جعلوه لبعض أوليائهم الأموات، فعند المغاربة فقط أربعة أقطاب يتصرفون بعد الموت، منهم : إدريس، وأبو يعزى، وأذكر أن محمد بن جعفر الكتاني ذكر هؤلاء في كتابه الذي يعد من مدونات الخرافة والضلال وهو (سلوة الأنفاس)، وكنت سألت الشيخ أبا

[1] تنبيه القاري 100 .

البيض عن هذه المسألة فأجاب بتاريخ (3 شوال عام 1372) من أزمور من كتاب، ومن الأصل الذي بخطه أنقل ما نصه :

(أما مسألة تصرف الأولياء في الكون فيحتاج الجواب عنها إلى طول، وعجيب جدا أن تسمي من يعتقد التصرف مشركا حبيبا لك، مع أن المشرك حقا هو من لم يؤمن بالتصرف الذي هو لب الشريعة، وروحها، وبه بعث الأنبياء والمرسلون، فدعه على شركه حتى يكون عندنا فراغ، فنملي عليك ما يفتح الله به) .

وعاد الشيخ فأملى عليَّ في كتاب ثان في نفس الشهر مما فتح به عليه الشيطان، وفيه طول ممل ومغالطة ظاهرة، وتعمد الغموض واللبس، فتحدث أولاً بأن التصرف كله دقيقه وجليله بالله ومن الله، وأن ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، (وما تشاؤون إلا أن يشاء الله)، ثم تحدث عن الملائكة والجن والروح، وما أعطوا من النفوذ في الكون، وأن الروح إذا قويت حصل التصرف بها لا بالجسد، ومنه المعجزات والكرامات، وأشار الشيخ إلى حديث الولي، وفهمه فهما يوائم مذهبه في الوحدة والتصرف، وفيه قوله صلى الله عليه وسلم : (ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها) ؛ كما في البخاري[1] وغيره، فمن كان الله سمعه سمع كل شيء، ومن كان الله بصره أبصر كل شيء، ومن كان الله يده التي يبطش بها قدر على كل شيء، لأنه ليس هو السامع ولا المبصر ولا المتصرف، بل الله تعالى، فإن منكر كرامات الأولياء وتصرفهم كمنكر وجود بغداد ومكة، حقه أن يُربط مع الدواب، ولابن بنت الميلق في قصيدته المعروفة : [البسيط]

[1] صحيح البخاري 6021 .

بـــه تصـــرفهم في الكائنـــات يشـــاء شـــاؤوا ومـــا شـــاؤوه
فمـــــــــــــــــــا يقضـــــــــــــــــــيه

وهكذا لبَّس الشيخ ودلس، وأوهم ما ليس بمراد، وهو يعرف ما يقصده المتصوفة بالتصرف، ولكنه خلطه بوحدة الوجود والمعجزات والكرامات الخ ما لا معنى له هنا، والزَّج بالكرامات هنا مقصود للمغالطة، وإلا فنحن بحمد الله من أهل السنة والجماعة نؤمن بمبدأ الكرامات إيمانا جازما، ونعتقد أنه لا يسع مسلما إنكارها وقد أثبتها الله في كتابه، وتواترت بها الأحاديث والآثار، إلا أننا غير ملزمين بالخرافات التي تمتلئ بها كتب الصوفية، وتروج أكثر ما تروج في بيئتهم الموبوءة، وزواياهم التي هي مراكز البدعة والضلال، فلا نؤمن، بل نكفر ونحذر بقوة مما تضمنه (طبقات الشعراني)، و(جامع كرامات الأولياء) للنبهاني، و(روض الرياحين) لليافعي وأمثالها، فمعظمها أكاذيب وترهات، وأساطير وخزعبلات، لا يَسلَم منها على النقد إلا القليل، وقد تصدى الأخ الفاضل عبد الرقيب الإبي اليمني فجمع مجلدا مباركا سماه: (كرامات الأولياء) اقتصر فيه على ما صح سنده مما يحكى ويروى عن الصحابة فمن بعدهم من أهل العصور المشهود لها بالخير، وهو يورد الأخبار بأسانيدها ويعقبها بالنقد العلمي النزيه، فيقرأها المؤمن مطمئنا، ويزداد بها إيمانا بما يرى من إكرام الله لعباده الصالحين المتقين، بنحو إجابة الدعاء، أو شفاء عاجل، أو دفع صائل، أو بركة في متجر، أو تسهيل عسر، أو تيسير مطلوب بعيد المنال، أو تدمير ظالم معتد، هذه الكرامات لا تخرج عن هذا الشكل، فلم نر فيها لا طيراناً في الهواء، ولا مشياً على الماء، ولا طي طريق، ونحو هذا من الغرائب التي لم ترو عن سيد الخلق في هجرته، وما لقي من أذى قومه ولا

عن الخلفاء الراشدين، والصحابة المهتدين، وإنما يحكى عمن هب ودب من المجانين والحمقى والجهلة، وفيها ما يستحيي من سرده، مما لا حاجة إلى ذكره .

وأما ديوان الأولياء أو (برلمانهم) الذي يُعقد بغار حراء بمكة كل سنة، يحضره الأولياء ويجلسون على مراتبهم تحت رئاسة القُطب، ويتداولون في شؤون العالم وينقضون ويبرمون، وأحسب أن هذا التخريف إنما صدر أولا من المغرب ومن فاس بالخصوص، وعلى يد عبد العزيز الدباغ الذي حكى عنه تلميذه أحمد بن مبارك اللمطي تفاصيل ذلك المثيرة في كتابه ذائع الصيت (الإبريز)[1] علاوة على غرائب وعجائب جعلت بعض معاصريه يشككون في ذلك لانفراده بصحبة ذلك الأبله، وحكاية تلك الخرافات عنه، والمقصود التنبيه، على أن مثل هذه البدع الضارة بالدين والدنيا لا علاقة لها بالولاية الحق، ولا بالإسلام الصحيح، والشيخ أبو البيض حكى ذلك في بعض رسائله بصيغة المسلم الواثق الجازم .

والقطبانية درجة في ترتيب الجندية الصوفية، وهي نهاية الترتيب، وربما سميت الغوثانية، ولم أعرف منشأ هذا النظام العسكري الباطني، إلا أني قرأت لبعض الباحثين أنه مأخوذ من الباطنية الإسماعيلية، وهذا غير بعيد، لأنه لا يعرف في الإسلام مثله أبدا، وقد ألف السيوطي رحمه الله وهو مخرف كبير وجاهل بالتصوف كما نعته أبو البيض في (الجؤنة)[2] رسالة طبعت قديما بمصر بتحقيق شقيق أبي البيض عبد الله سماها : (الخبر الدال، على وجود القطب والأوتاد والأبدال) قرأتها منذ أربعين سنة، فلم أجد بها حديثا أو أثرا عن القطب والأوتاد، إنما ذكر أحاديث عن الأبدال معلوم عند نقاد الحديث أنها معلة لا يصح منها شيء،

[1] الإبريز : الباب الرابع في ذكر ديوان الصالحين .. 326 .

[2] جؤنة العطار 175/3 .

وعلى فرض صحتها استئناسا باستعمال العلماء قديما للقب الأبدال، إلا أن مفهومهم له مختلف، فهم يقولون بأنه إذا توفي أحد الأبدال أظهر الله مكانه خلفه، والصوفية يقولون بأن البدل له أربعون صورة حسية يوجد في مكان ووقت واحد بتلك الصور كلها . ويسمى هذا تطور الولي، وقد ألف السيوطي كذلك رسالتين[1] في تأييد هذه الأفكوهة التي لا توجد إلا في مخيلة الصوفية .

وللشيخ أبي البيض عناية بهذا التطور بل التمثيل السينمائي، وقد ذكر في رسالة منه إلى أبي الفتوح بتاريخ (11جمادى 2 عام 1377) اشتملت على غرائب، منها أنه كان بالمدينة المنورة، وزار القبر الشريف، ورأى في منام القبر مكشوفا، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم راقد فيه ووجهه مغطى، قال : فلما وقفت كشف الغطاء عن وجهه الشريف، ونظر إليّ ومد يده الشريفة، فصرت أقبلها وأبكي وأقول : يا رسول الله أدع الله أن يغفر لي، فقال لي : أنت مغفور لك، قل: (اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق)، فعلمت أن شفاعته صلى الله عليه وآله وسلم قد حصلت، ففتح الله به ما كان أغلق، وختم به ما كان سبق من الجلال والامتحان إن شاء الله تعالى، ولما كان في تلك الليلة، زارنا شريف صالح مجذوب فلما جلس قال لي : هذه مدة وأنا أحب زيارتك، اِعلم أن القطب هو مثل قطب الرحى عليه تدور الرحى، ولا بد أن يحصل له أولا المحنة والجلال، ثم بعد ذلك يسجد له الجميع سجودا معنويا كما حصل ليوسف عليه السلام، حيث سجد له إخوته سجودا حسيا، ولكنه نسخ في شريعتنا السجود الحسي وبقي المعنوي، ثم قال لنا : هذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حاضر معنا في البيت، وكان ذلك بعد العشاء بكثير، فلما نمنا

[1] هما : "المعتلي في تعدد صور الولي"، و"المنجلي، في تطور الولي"، والثانية مطبوعة ضمن الحاوي للفتاوي .

رأيناه صلى الله عليه وآله وسلم، وفي اليوم الثاني وجدته جالسا بقهوة مع الأخ سيدي عبد الله، فذكرت له الرؤيا فقال : ألم أقل لك إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان حاضرا معنا !

قلت: ولا يخفى ما تشير إليه هذه الرؤيا والحكاية من أن أبا البيض أدرك القطبانية التي فخم شأنها جدا، وذكر من أحوال القطب ونفوذه أنه يتصرف في ستة عشر ألف عالم، الدنيا والآخرة واحد منها، وقد أثبتها لجده ونفاها عن الحراق[1]، ونشير إلى أن ما تضمنته الرؤيا السابقة من نهاية التجلي، لم يحصل، وإنما حصل العكس من ترادف الفتن والمصائب .

[1] الجواب المفيد 61 .

الفصل التاسع

قوله بإحياء الأولياء للموتى، وتصرفه في ذلك بالهوى،

فآمن ببعض وكفر ببعض، والدعوى واحدة.

هذه الفاقرة قديمة حكيت عن عدد من أولياء العجم بدون إسناد، ومعلوم أن هذا لا يتفق وتعاليم الإسلام وتاريخه الصحيح، ولا يعرف في سير الأنبياء والمرسلين حتى سيدهم وخاتمهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، إلا عن عيسى روح الله وكلمته، فإن الله أعطاه هذه المعجزة وخصه بها فقال تعالى على لسانه عليه السلام : (وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله)، وقد ذكر هذا في الإنجيل مرة أو مرتين، وما ورد أن الله تعالى أحيى للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أبويه فآمنا به، موضوع[1] .

والمسلمون مطبقون منذ عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على أن إحياء الموتى خاص بالله تعالى : (إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم)، (هو يحيي ويميت)، (الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا)، والآيات في هذا المعنى كثيرة، ولما انتشر التصوف الفلسفي في العالم الإسلامي، ودخلت فيه العناصر الوثنية، وتعلق الناس بالكرامات وغلوا فيها حتى ألف عبد الله بن أبي الدنيا جزء (من عاش بعد الموت)، وهو مطبوع، وتلقف من جاء بعده ممن لهم مزيد عناية بالخرافات كالسيوطي والشعراني والنبهاني وأبي البيض وغيرهم، وزادوا في ذلك ما شاء لهم هواهم، وإذا صح شيء من هذه الحكايات فتعليله واضح، وهو إما أن يكون من تلبيس الشيطان عليهم، أو من باب السيميا وهو من فروع

[1] انظر الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة 151 .

علم السحر، وغايته أن يخيل للرائي أن الباطل حقا فيرى الميت يتحرك ويتكلم ونحو ذلك، وكان الفقيه عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي الفهري صاحب العمل الفاسي ممن يتقن ذلك كما ذكر في ترجمته، وربما يتفق في بعض الناس أن يصاب بسكتة أو غيبوبة، قد تدوم أياما وشهورا ولا يعرف حاله، ولم يكن يومئذ ظهر من الوسائل العلمية ما يعرف الواقع، فيحسب أن المرء مات، وهو حي، وقد قيل عن بديع الزمان الهمذاني أنه أصيب بغيبوبة طالت فدفن وهو حي، ثم أفاق وهو في القبر فأخذ يصيح فسمعه بعض المارة وأبلغ عنه فكشف عنه فوجد قد مات، وقد خرق كفنه وهو قابض على لحيته .

وموقف أبي البيض من هذه الفاقرة أنه تبناها بعنف، وغلا فيها غلوا مضحكا، فلنستمع إليه يقول في جؤنة العطار[1] من مخطوطتي بخطي :

فائدة :

(جوز علماء الكلام كل ما كان معجزة لنبي أن يكون كرامة لولي، ثم استثنوا من ذلك إحياء الميت فزعموا أنه لا يجوز أن يوجد من ولي، والعجيب أن القشيري . وهو من الصوفية . وافقهم على ذلك في رسالته، وهو باطل لوجهين، أحدهما : أنه لا دليل عليه، وثانيهما : أنه ثبت عن جماعة من الأولياء ثبوتا لا شك فيه أنهم أحيوا الأموات، منهم القطب الجيلاني والقطب أبو بكر العيدروس دفين عدن رضي الله عنهما، وذلك معروف في ترجمتيهما[2]، وقد كان للثاني هرة يحبها كثيرا، وأظن اسمها مرجانة، فضربها خادمه يوما ضربة قتلتها، ثم رماها على مزبلة، فبعد ثلاثة أيام سأله الشيخ عن الهرة، فقال له : ماتت يا سيدي، فقال له الشيخ :

[1] جؤنة العطار 21/1 .

[2] وهذا وجه ثبوتها عند أبي البيض .

ماتت ؟ كالمنكر ثم دعاها يا مرجانة فأقبلت تسعى إليه، ورجعت إلى ما كانت عليه . ومات ابن لامرأة فأقسمت هي أو غيرها عليه في إحيائها، فدعا الله فعاش مدة بعد ذلك، وقال للمقسم : لا تعد . والقصة أطول من هذا فلتراجع في ترجمته، وكم لهذا من نظير، فلا تلتفت إلى ما يذكره المتكلمون، فهي غلطة تصدر من أولهم فيتابعه عليها باقيهم بدون تأمل في القول، ولا نظر في الدليل، فإن صدور الخارق على يد العبد ليس هم من فعله، إنما هو خلق الله تعالى وقدرته وإيجاده عند تعلق همة الولي بوجود الشيء، وقدرة الله تعالى تتعلق بكل ممكن، فلا فرق بين أن يقلب له التراب ذهبا، أو يحمله على الهواء، فيطير، أو على الماء فيمشي عليه، أو يشفى له مريض، أو يحي له الميت، فكل ذلك بالنظر إلى ذات العبد خارج عن قدرته وكسبه في العادة، وداخل تحت قدرة الله تعالى، فما الذي يجيز الأول على الله تعالى أن يجريه على يد ولي من أوليائه، ويمنعه أن لا يجري على يديه الثاني، بل جائز عقلا وشرعا وعادة أن يدعو مطلق المؤمنين الله تعالى بإحياء ميت، فيصادف منه تعالى قبولا وإجابة فيحييه له . وما صدور ذلك من الولي إلا من قبيل إجابة الدعاء) .

وقال أبو البيض في "البرهان الجلي" نقلا عن السيوطي (وهو مصدر الخرافات في هذا الباب) قال : (روينا من وجوه حسنة كثيرة !! أن الولي السيد الشهير كفاية الله الحسني الحبشي مات ودفن بحيدر آباد قاعدة مملكة الدكن، ثم ظهر حيا بلكنو قاعدة مملكة (أوده)، فبينا هو يقرأ القرآن يوما إذ مر عليه رجل من التجار كان قد شهد دفنه بالدكن، فوقف متعجبا من أمره، فلما فرغ الشيخ من قراءته قال له : ما ترى ؟ قال : شهدتك بالدكن إذ مت ودفنت . قال : نعم، ولكنني أحببت أن أكون أياما في الدنيا فظهرت هنا ؟! قال : فأنا أموت هنا بعد زمان، ثم أظهر بالصين إن شاء الله تعالى، ولا تكون لي حينئذ أنملة الخنصر من يدي ؟

فمات ثمة بعد زمان، ولقيه الرجل بعد مدة بالصين فكان كما قال، وهذه القصة مشهورة ببلاده)[1].

ثم ذكر أبو البيض خرافة أخرى في نفس الكتاب[2]، أغرب من هذه وأعرق في الكذب والخيال عن المسمى الحليق التركي، ولم أذكرها لطولها، ووجدت على طرة النسخة بخطي : (رحم الله الإمام الشافعي الذي قال عن الصوفية : من خالطهم من الصباح إلى الظهر أنكر عقله) .

ووجدت أيضا بخطي على هامش القصة السابقة في الجؤنة على قول أبي البيض : "وما صدر ذلك من الولي إلا من قبيل إجابة الدعاء" ما نصه : هذه شبهة داحضة، والأحكام والحقائق لا تؤخذ هكذا، وقدرة الله صالحة لكل شيء (وهو على كل شيء قدير) ولكنه أخبرنا أنه وحده الذي يحيي ويميت، وأنه المنفرد بإنفاذ كل ما لا يدخل تحت قدرة العبد واستطاعته التي منحه الله إياها، فمن زعم أنه يستطيع هذا وأحال على القدرة فهو دجال ملبس، وأذكر أنني سألت الشيخ عما يحكى عن الجيلاني أنه أحيى الموتى، وعن عم جده لأمه عبد القادر ابن عجيبة أنه أحيى زوجته، وهذا يحكيه الناس كثيرا، وسمعته أنا من أحفاد الشيخ وأقاربه، فاستنكره أبو البيض واستهزأ بمعتقده وقال في عبد القادر ابن عجيبة قولا شديدا[3]، وعندي جوابه بخطه .

وقد ذكر في كتابه (البرهان الجلي) نحو ثلاث حكايات في إحياء الأولياء للموتى، فاعجب كيف تفعل الزاوية بعقول أهلها، نسأل الله السلامة والعافية .

---

[1] البرهان الجلي 166 .

[2] البرهان الجلي 167 .

[3] انظر الجواب المفيد 62 .

قلت : وما الذي جعل العيدروسي وكفاية الله الحبشي ومحمد حليق التركي يحيون الموتى وعبد القادر ابن عجيبة لا يفعل ؟ إنه الهوى والعنصرية كما يقال . والدعوى واحدة والكذب متشابه، ثم السؤال الذي يطرح نفسه الآن على حد تعبير الناس اليوم : إن هذا لو كان ممكنا لأعطاه الله تعالى خير خلقه محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وقد مات أبواه واختاره الله نبيا ورسولا فلماذا لم يحييهما حتى يؤمنا به، وماتا على الشرك، وقد استأذن صلى الله عليه وسلم ربه أن يستغفر لأمه فلم يأذن له، وأذن له بالزيارة فبكى وأبكى رحمة لها، وكذلك حصل مع عمه أبي طالب الذي كان يحبه وينصره، وهكذا وهلم جراً إلى إدريس الأول الذي مات مسموما ولم يستطع دفع الشماخ عن نفسه، وهذا الشيخ عبد السلام بن مشيش وهو وجَدُّه الأعلى إدريس قطبان بالإجماع، والقُطب يتصرف في الدنيا والآخرة !! وهو ممن أعطوا التصرف في الحياة بعد الممات، ولم يستطع هذا دفع ابن أبي الطواجين عن نفسه حتى ذبحه، بل هذا جد أبي البيض الحاج أحمد بن عبد المؤمن الذي شهد له أبو البيض بالقطبانية، ومنعها عن الحراق، والأقطاب يعرف بعضهم بعضا ! وقد أشار أبو البيض إلى إدراكه درجة القطبانية، وأكثر في ذلك من الرؤى والمنامات التي لم يتحقق له منها شيء إلا ما كان من المحن والأمراض، والعجب أنه كان شديد التعلق بهذه المنامات والمبشرات التي كان يتلقاها من البهاليل، ثم اعتمد حساب الكهان، وسُرَّ سُرورا بالغا بالفرج، خصوصا بعد أن قلب له العسكر ظهر المجن، وعلم أنه كان يعيش معهم في سراب خادع، وبعد أن قبض على شقيقه عبد الله، فكتب إلى أبي الفتوح يقول : (إنه يعيش في ضيق عظيم، وأنه يتمنى أن تتاح له فرصة الرجوع إلى المغرب، فإذا وجدها لم يمكث بمصر لحظة، وقد حدد له بعض الكهنة أن موعد الفرج العام يكون سنة 79 إلى 80، جزما) .

والغريب أنه توفي سنة 1380، فقامت قيامته، وانتهى أمره، وتوالت البلايا على المسلمين بالنظام العالمي الجديد والعولمة واحتلال العراق والأفغان، وتدمير فلسطين، وضياع المسجد الأقصى، ومجيء دور المجوس الروافض الذين يهددون المسلمين ويكفرونهم في غير موضع من العالم، والمسلمون أهل السنة الآن في العراق محاطون بأشد الأخطار، ومهددون بما يسمى الإبادة العرقية والطائفية من الروافض والأكراد وأمريكا ومن معها من دول ما يسمى التحالف الصليبي والاتحاد الأوروبي ؛ بل وجيرانهم من دول الخليج العربي هم عملاء لأمريكا وأرضهم محتلة بها، هذا هو الفرج الذي بشر به أبو البيض من أوليائه، وعاش على هاجسه إلى أن مات .

والمقصود التنبيه على هذه العقائد الصوفية المدمرة الغرارة، ومنها إحياء الموتى التي آمن بها أبو البيض، ورد على المتكلمين الذين أخرجوها من كليتهم العوجاء : (كل ما جاز أن يكون معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي)، وفات أن موسى عليه السلام شق له الله في البحر طريقا يبسا بضربه بعصاه، وسليمان جيء له بعرش بلقيس من اليمن إلى فلسطين وصالح أخرج الله له ناقة من الصخر، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم عرج به إلى السماوات في لحظات، وغير ذلك من المعجزات، فهل لأولياء أبي البيض مثل هذه المعجزات، إذا كانت فلماذا لم تُنقل، وأردد هنا كلمة الشافعي رحمه الله : إذا صاحب المرء الصوفية من الصباح للظهر أنكر عقله .

الفصل العاشر

اعتقاده حضور النبي صلى الله عليه وآله وسلم بذاته في كل زمان ومكان، وادعاؤه أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يعلم الغيب كله حتى الخمس التي لا يعلمهن إلا الله

هذا الفصل يتضمن مصيبتين :

اعتقاد حضوره صلى الله عليه وآله وسلم بذاته ونفسه في كل زمان ومكان، وادعاؤه أنه صلى الله عليه وآله وسلم يعلم الغيب كله .

وهاتان الفاقرتان تخالفان الإسلام دين المسلمين، وتصادمان عقيدته وتعاليمه، وتزيد الأولى أنها تنافي العقل والعادة، وأبو البيض كان يعتقد هذا من شبابه واستمر عليه إلى وفاته، نسأل الله السلامة .

وقد حدثني صهري وهو ابن عمة أبي البيض محمد بن عبد الصمد التجكاني أنه كان معه في الحج، وحضر معه مذاكرة مع لفيف من الطلبة والصوفية، فأفضى الكلام إلى فضائل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وخصائصه، فصرح لهم أبو البيض وهم في المسجد النبوي أنه عليه الصلاة والسلام موجود بذاته ونفسه في كل زمان ومكان، وأنهما لا يخلوان منه، قال التجكاني : فناقشته طويلا وأنا أشير إلى القبر المقدس قائلا : من هناك، أليس ذاك قبره عليه الصلاة والسلام، فأجاب أبو البيض : نعم، وهو نفسه هنا بذاته وفي كل مكان وزمان، ومن هنا كان أبو العباس المرسي يقول: لو حجب عني رسول الله طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين، ولا يعني أبو العباس ذكره وحضوره القلبي، ولكنه الحضور الذاتي، ومن هناك جاءت رؤية الأولياء له عليه الصلاة والسلام يقظة ومناما وكل وقت،

واستمر في هذا الكلام وأبى أن يرجع عنه، وأراد أن يوضحه دون جدوى لأنه يصعب تصوره وفهمه .

وقد سبق أن أشرت إلى أن أبا البيض نسخ بخطه رسالة في الموضوع لنور الدين الحلبي ما زالت موجودة بين كتبه المخطوطة بخزانة تطوان العمومية، ثم رأيتها مطبوعة في كراسة صغيرة بمصر، بعنوان (محمد) صلى الله عليه وآله وسلم، واسمها الأصلي : (تعريف أهل الإيمان، بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم موجود في كل زمان ومكان)، فهذه الرسالة المشؤومة عليه هي المسؤولة عن تضليله، وجعله يعتقد ما يصادم معتقد المسلمين، وقد كان في حل من هذا لو أراد الله به خيرا، واستقام على الطريقة الحق .

وقد قال في رسالة لذنبه أبي الفتوح دون تاريخ ولكنها مما كتبه قبيل وفاته، وصورتها تحت يدي بخطه : (وجوده صلى الله عليه وآله وسلم في كل مكان، بل هو الكون كله)، وقد سبق نقله في فصل نقد وحدة الوجود .

و قال في رسالة أخرى له: (وقولي لك في الرؤيا : كل ما ترى فهو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهو حق، وهو قولي في اليقظة ولا بد، فهي رؤيا حق صادقة)

و واضح من كلمته العوراء هذه أن الهدف من وجوده صلى الله عليه وآله وسلم بنفسه في كل مكان، التدرج إلى أنه هو الله، والكون كله هو الله تعالى ربنا عن هوس المجرمين الملاحدة علوا كبيرا .

وأما المصيبة الثانية، وهي أعظم من الأولى وأعرق في الكفر والضلال، فهي اعتقاد أبي البيض وقبيله أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يعلم الغيب كله حتى

الخمس التي لا يعلمها إلا الله كما ورد عنه في الصحيح[1] : (...في خمس لا يعلمهن إلا الله : إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ...) . ولم يكتف أبو البيض بهذا بل زعم أن الأولياء كذلك يعلمون الغيب، وهذا من لوازم عقيدة وحدة الوجود جزما، فمن اعتقد أنه الله بل وأقسم على ذلك كما قال الحراق : [مجزوء الرمل]

فـــــــانظروني تبصـــــــروه إنـــــــــــــــــه والله أني

لم يشذ عن علمه شيء، وتلقف هذا البلاء جميعه شقيقه أبو العسر فقرره بمنتهى الجرأة والوقاحة في مقدمة ما سماه (الأربعون العزيزية) في الطبعة الأولى، وحذف تلك المقدمة في الطبعة التالية، وفي رسالة له إلى أبي الفتوح رقم 85 يقول : (والأحاديث التي وقفت عليها في نفي علم الغيب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم معناها : نفي ذلك عنه صلى الله عليه وآله وسلم بذاته، بخلاف إطلاع الله تعالى إياه على ما شاء من غيبه (إلا من ارتضى من رسول)، وهو أفضل مرتضى على الإطلاق صلى الله عليه وآله وسلم، فإن كانت هناك جزئية بعينها، فالجواب أنه صلى الله عليه وآله وسلم نفى اطلاعه عليها قبل أن يطلعه الله تعالى في آخر عمره، أطلعهم الله على كل شيء، وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: (والله إني لا أعلم الغيب إلا ما علمني ربي)، وكيف تقبل تلك الأحاديث . إن صحت . على ظاهرها، ونحن نشاهد آلاف المسائل من المغيبات التي أخبر بها في حياته، أو ما ظهر بعد انتقاله، من عهد الصحابة إلى اليوم، وإلى قيام الساعة، وفي (طباق

[1] صحيح البخاري 4404 .

الحال الحاضرة)، وهي قطرة من بحر، كفاية، فكيف بما سبق من المغيبات التي أخبر بها صلى الله عليه وآله وسلم ..) .

قلت: "طباق الحال الحاضرة" هو الاسم الأول لكتابه (مطابقة الاختراعات العصرية) الذي طبع بعد تعديله، ولا أدري كيف يفعل أبو البيض . بعد أن حط من شأن الأحاديث الواردة في نفي علم الغيب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهي في الصحيح . بالآيات العديدة الواردة في كتاب الله تعالى في الموضوع، وهي في منتهى البيان والصراحة كقوله تعالى : (قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله)، وأبو البيض يعلم ما قال علماء البلاغة والأصول في الاستثناء المسبوق بالنفي وأنه يفيد الحصر، وقوله عز وجل : (قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إني ملك ...)، وقوله سبحانه : (ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير)، وقوله عز وجل : (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول ...)، إلى غير ذلك من الآيات البينات، ومثلها من عشرات الأحاديث النبويات، ومن أقرَبِها وأصحها قوله صلى الله عليه وآله وسلم للجارية التي تغني بين يدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وتقول : وفينا نبي يعلم ما في غدٍ، فنهرها صلى الله عليه وآله وسلم، وقال: دعي هذا وقولي ما كنت تقولين[1] .

ولا يخفى ما في قول أبي البيض : (..ونحن نشاهد آلاف المسائل من المغيبات)، من المبالغة أو الكذب، ولعل ما صح من ذلك لا يبلغ المائة، ثم إن احتجاج أبي البيض بآية (إلا من ارتضى من رسول)، لا يفيد اختصاص النبي بذلك، وتمسك أبي البيض بأن علم الغيب المدعى ليس استقلالا ذاتيا بل باطلاع

[1] رواه البخاري 3700 .

الله نبيه عليه، مغالطة، ثم هو ليس خاصا به عليه السلام ؛ بل هو في كل رسول بالقيد المذكور في الآية، وقد سبق أن نبهت في فصل تصرف الأولياء في الكون، على أن صنيع أبي البيض وأمثاله من غلاة المبتدعة أن يتملصوا من فظاعة الأمر بادعاء أنه بإذن الله وأمره متناسين بأن علم الله وقضائه وقدره عام في كل شيء، وهذا من قواعد الإيمان، والتوفيق بيد الله، فسبحان من أعمى بصائر هؤلاء القوم وحال بينهم وبين قلوبهم حتى تركوا المحجة البيضاء التي ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، ووقعوا في بنيات الطرق، نسأل الله العافية، أن يختم لنا بالحسنى.

الفصل الحادي عشر

قوله بالتصوف الباطني الفلسفي، واعتقاده أنه التصوف الحق، وأن معظم الصوفية لم يشموا له رائحة، لأنه لا يدرك إلا بالذوق، وغايته وحدة الوجود، مع جزمه بأن من لا يعتقدها فلا إيمان له

كتب أبو البيض إليَّ مرارا يقول بأن التصوف نوعان : تصوف سُني أخلاقي، وهو ما عليه معظم الصوفية، ولكن التصوف الحق هو التصوف الباطني الذي لا تعلق له بالعمل والسلوك ؛ بل هو عناية ربانية، وجذب إلاهي، وأصحابه لا يكونون مقلدين أبداً ؛ لأنهم يأخذون عن الله مباشرة، ولا يكون القطب إلا منهم، والقطبانية درجة في غاية السمو، وأشار إليها قائلهم، وهو ابن العربي الحاتمي المرسي : [المتقارب]

مقام النبوة في برزخ فُوَيْقَ الرسول ودون الولي[1]

و سمعت أبا البيض يقول وقد كتب به إلي أن الإمام شمس الدين السخاوي تلميذ الحافظ ابن حجر ألف كتابا في مجلد ضخم سماه : (القول المنبي، بترجمة ابن العربي)، [و الكتاب مخطوط، وتحت اليد صورة منه، وهو قيد التحقيق، فقد أنجزه الأخ الباحث المغربي خالد مدرك البيضاوي منذ سنوات] أورد فيه تراجم مختصرة لنحو مائة وأربعين عالما وإماما وشيخا صوفيا يورد في كل ترجمة فتوى في تكفير ابن العربي أو تفسيقه مع ذكر الدليل على ذلك من كلامه، وفيهم كثير من شيوخ الزوايا ورؤساء الصوفية بمصر والشام واليمن والمغرب، قال الشيخ أبو البيض :

[1] لطائف الأسرار لابن العربي 49 .

هؤلاء كلهم لم يعرفوا التصوف وما شموا له رائحة على حد تعبيره[1]، وأذكر أنه نقل في كتابه (المؤذن، بأخبار الشيخ أحمد بن عبد المومن)، وهو مخطوط وأصله بخط المؤلف بالخزانة العامة بالرباط[2]، كلاما عن ابن عبد السلام الناصري في كتابه (المزايا، فيما أحدث من البدع بأم الزوايا)، وقد طبع الكتاب بالرباط مؤخرا، كلاما قبيحا حول علي العمراني الملقب بالجمل، وهو شيخ العربي الدرقاوي، وما كان يقوم به هو وأصحابه من أمور مستنكرة، وأحوال مستقذرة، بمدينة فاس، حتى كان بعض شيوخه –أعني الناصري– يستعيذ بالله من رؤيته[3]، وبعد أن ذكر أبو البيض هذا تعبقه برد قاس صرح فيه بأن تلك الأحوال التي لم يستسيغها ذوق الناصري هي أحوال أهل الله حقا، وأن الجمل وأصحابه هم الأولياء، أما الناصري وقبيله فبعيدون عن الولاية، في كلام من هذا القبيل[4]، وأبو البيض يعني ما يقول ويؤكده، ويتبنى كل ما ذكره إمامه الأكفر ابن العربي في فتوحاته وفصوصه، اللذين جمعا من ألوان الكفر والإلحاد ما تفرق في غيرهما، ولله در الإمام جمال الدين عبد الله بن هشام الأنصاري المصري صاحب المؤلفات السائرة في النحو كالمغني وأوضح المسالك، وقطر الندى، وشذور الذهب، الذي كتب على نسخة من (الفصوص) بعد قراءته : [مجزوء الكامل]

هـــــذا الـــــذي بضـــــلالهِ ضـــلّتْ أوائـــل مَـــعْ أواخـــرْ

مـــــن ظـــــنّ فيـــــه غـــــير ذا فَلْيَنْـــأَ عَـــنِّي فَهْـــوَ كـــافِرْ

---

[1] وانظر ما قاله في جؤنة العطار 241/3 .

[2] تحت رقم : d1786.

[3] انظر المزايا 137 .

[4] انظر المؤذن 60-61 .

وابن العربي يصرح بأن الأديان كلها صحيحة مقبولة، وأنه يدين بها، وأن أصحابها لا يعبدون إلا الله، وهو بهذا سبق دعاة توحيد الأديان، أو وحدة الأديان بمآت السنين، ومن غريب المفارقات أن أبا البيض ينقم على عدد من المعاصرين دعوتهم إلى توحيد الأديان الثلاثة : اليهودية، والنصرانية، والإسلام، في وضعها الحالي باعتبارها أديان توحيد في الأصل، وإلى هذا ينحو الآن معظم الدعاة الإسلاميين الداعين إلى التعايش السلمي، وكان من الواجب على أبي البيض أن يؤيدهم ويدعو إلى ما يميلون إليه، وكيف لا وإمامه ابن العربي يرفع عقيرته بالأبيات السائرة كما في ديوانه[1] : [الطويل]

لَقَـــد كُنـــتُ قَبـــلَ اليَـــومِ أنكِـــرُ صـــــــــــــــــــــاحِبِي ... إذا لَم يَكُـــن ديـــني إِلى دينِـــهِ داني

وَقَـد صـارَ قَلـبي قـابِلاً كُـلَّ صـورَةٍ ... فَمَرعَـــى لِغـــزِلانٍ وَدَيـــرٌ لِرُهبـــــــــــــــان

وَبَيـــــتٌ لِأَوثانٍ وَكَعبَـــةُ طـــائِفٍ ... وَأَلـــواحُ تَـــوراةٍ وَمُصـــحَفُ قُـــــــــــــــــرآنِ

أَديـــنُ بِـــدَينِ الحَـــقِّ أَنّى تَوَجَّهَـــتْ ... رَكائِبُـــهُ، فَالـــدِّينُ دِيـــني وَإِيمـــاني

[1] دخائر الأعلاق ص 39 .

و في رواية :

أَديـــــنُ بِـــــدَينِ الحُـــــبِّ أَنّى تَوَجَّهَـــــــــــــــــــتْ رَكائِبُـــهُ فَالحُـــبُّ دِيـــني وَإِيمـــاني

و قد ذكر السخاوي في (القول المنبي) أن الإجماع كاد ينعقد على تضليل ابن العربي والحكم بقتله، وأن الأمر كان على وشك التنفيذ لولا تدخل المجرمين من شيوخ الصوفية بمصر والشام ذوي المكانة عند أمراء الممالك الجهلة، وفي بعض الأحيان يتغلب الرشد والحق على الهوى فيقام حكم الردة على المرتدين، فينقبعون ويتواصون بالكتمان، وينسبون إلى الإمام علي بن زين العابدين بن الحسين بن علي رضي الله عنهم[1]، ولا يصح عنه، وإنما هو من قول كلثوم بن عمرو العتابي المتوفى سنة 220 هـ : [البسيط]

يا رُبَّ جَـوهَرِ عِلـمٍ لَـو أَبـوحُ بِـهِ الوَثَنـــــــــــــــــــــا لقِيـــلَ لي أَنـــتَ مِمَّـــن يَعبـــدُ

و لاسْـــتَحَلَّ رِجـــالٌ مُســـلِمونَ دَمـــــــــــــــــــــي يَـــرَونَ أَقـــبَحَ مـــا يَأتونَـــهُ حَسَـــــــــــــــــنا

[1] انظر الكشكول للعاملي 270 .

الفصل الثاني عشر

شتمه لعدد (6) من الصحابة على رأسهم معاوية، وقوله بردتهم، و ردّه القول بعدالتهم رضي الله عنهم، ولعن مبغضهم

هذا الفصل أيضا ينتظم ثلاث فواقر : رد القول بعدالتهم، وشتم عدد منهم، والحكم بردتهم ونفاقهم .

أما القول برد عدالتهم التي أجمع عليها المسلمون إلاّ الروافض، والخوارج، والغماريون، وهم صميم الروافض، وقد ذكر أبو البيض في جؤنته : حديث (يلحد رجل بمكة يقال له عبد الله عليه نصف عذاب العالم)، وفي رواية لأحمد (يحلها بمكة كبش من قريش اسمه عبد الله عليه نصف أوزار الناس)، وفي رواية لأحمد أيضا (يحلها بمكة كبش من قريش اسمه عبد الله عليه نصف أوزار الناس)، وفي رواية لأحمد أيضا (يحلها –أي مكة– رجل من قريش لو وزنت ذنوبه بذنوب الثقلين لوزنتها)، وقال : روي من طرق متعددة صحيحة وحسنة[1] . والحق أنه لم يصح منها شيء وهي بين ضعيف ومنكر ومنقطع، ثم أنزلها على أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما، وقال:

لما قام بالفتنة في مكة وأحلها جاء إليه عبد الله بن عمرو فأنذره بهذا الحديث، وذكّره به لعله يرجع، فما زاده ذلك إلا لجاجا فيما هو فيه، وهذا مما يسد على القوم مسالكهم (يعني أهل السنة والجماعة القائلين بعدالة الصحابة)، ويُفسد عليهم ما أسسوه من عدالة كل من سموه صحابيا باصطلاحهم وعُرفهم، ولو لم ير النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلا مرة في عمره، أو رآه وهو صغير دون

[1] جؤنة العطار 275/2 .

بلوغ كعبد الله بن الزبير، وبنوا على ذلك ما بنوه من تصويب ما فعله أمثال هؤلاء، ولو كان مخالفا لكتاب الله تعالى وسنة رسوله، مناقضا للدين من أصله، مخالفين بذلك جميع النصوص والأدلة، ضاربين بكل ما عارضه عرض الحائط، مجابهين للواقع، مكابرين للمحسوس، فهذا عبد الله بن الزبير قد قال فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما سبق، وأيده الواقع ؟ فإنه استحل حرم الله تعالى وفتك به، وقتل وسفك الدماء، وفتن أهله حتى أهين المسجد والكعبة المشرفة، وضربت بالمنجنيق حتى احترقت وتهدمت، وكان مع هذا شديد العداوة لعلي عليه السلام وآل بيته الكرام، وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث الصحيح المجمع على صحته لعلي : (لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق) .

و اندفع أبو البيض الأفاك يسرد مثالب ابن الزبير معتمدا في ذلك روايات الأخباريين الشيعة إلى أن شفى غيظ قلبه، وقد قال مالك رحمه الله : من سب الصحابة لا يُعطى من الفيء، وهو كافر، لأن الله تعالى قال : (..ليغيظ الكفار)، وابن الزبير رضي الله عنهما بايعه الجمهور من الصحابة، وتمت له الإمارة بعد يزيد بن معاوية، ونازعه مروان بن الحكم –و هو[1] أرشد منه وأولى بالإمارة– ولما لم يتنازل له زحف إليه الحجاج بن يوسف الطاغية وحاصره ورمى الكعبة وأحرقها، وهذا معروف في التاريخ، فابن الزبير مظلوم تحصن بالحرم، ودافع عن نفسه الدفاع المشروع إلى أن قتل وصلب ظلما وعدوانا، وأبو البيض يتكلم بلسان غيره (الروافض)، وذنبه الأول عنده عداؤه لعلي وأهل بيته وبغضه، ولذلك حكم أبو البيض بنفاقه إعمالا لحديث (لايحبك إلا مؤمن..)، وهو يعلم أن الحب والبغض من أعمال القلوب، وأن تصرف الإنسان المخالف قد يكون لسبب مقبول

[1] أي ابن الزبير .

كالاجتهاد كما وقع قبل بين علي ومعاوية وعائشة رضي الله عنهم، وأبو البيض يعميه الهوى حتى يتورط فيما لا طاقة له به، فقد كتب بخطه في رسالة تلميذه الكرفطي –كما ذكر غير ما مرة– : "إن عليا كان يبغضه (أغلب الصحابة)"، وبناءً عليه فهم منافقون لزوما لهذا الحديث، والعياذ بالله، ورواية مالك المشار إليها رواها البغوي في شرح السنة، ونصها الكامل : قال مالك : من يبغض أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكان في قلبه عليه غل فليس له حق في فَيء المسلمين، ثم قرأ قوله تعالى : (مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (7) لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (8) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (9) وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (10) [سورة الحشر]) .

و ذكر بين يديه رجل ينتقص أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقرأ مالك هذه الآية : (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (29) [سورة الفتح]) .

ثم قال –مالك– :

من أصبح من الناس في قلبه غل على أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقد أصابته هذه الآية[1] .

و في فتح القدير للشوكاني من رواية عبد بن حميد ومن معه عن عائشة رضي الله عنها قالت : أمروا أن يستغفروا لأصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فسبوهم، ثم قرأت : (وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (10) [سورة الحشر])[2].

و يكفينا من المرفوع مما ورد في مدح الصحب ووعيد من تنقصهم قوله صلى الله عليه وآله وسلم : "لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه" وهو صحيح، وقوله عليه الصلاة والسلام "لعن الله من سبّ أصحابي"، وقد حسنه الألباني في صحيح الجامع، وقد أفرد عدد من العلماء فضائل الصحابة بالتأليف، من أقدمهم الإمام أحمد، وكتابه (فضائل الصحابة) رائد في بابه وهو مطبوع، وقد استقرئ من صنيع أئمة السلف ما صيغ منه تعريف الصحابي بأنه من آمن بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد لُقيه واستمر على ذلك إلى أن مات .

و ذلك ليدخل في هذا التعريف : العميان والصبيان المميزون ممن لم يبلغ الحنث كالحسنين وابن عباس وابن الزبير وغيرهم من صغار الصحابة، ولكنْ أبو

[1] شرح السنة 229/1 .

[2] فتح القدير 197/5 .

البيض لم يرض هذا وأشار إلى قيود وشروط في الصحبة حتى يتأتى له الطعن في عدد من الصحابة وإخراجهم من الإسلام عياذا بالله، وقد قال الإمام أحمد رضي الله عنه في كتاب السنة : "من السنة ذكر محاسن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كلهم أجمعين، والكف عن الذي جرى بينهم، فمن سب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أو واحداً منهم فهو مبتدع رافضي، فحبهم سنة، والدعاء لهم قربة، والاقتداء بهم وسيلة، والأخذ بآثارهم فضيلة .

وقال : لا يجوز لأحد أن يذكر شيئا من مساويهم، ولا يطعن على أحد منهم، فمن فعل ذلك فقد وجب على السلطان تأديبه وعقوبته، ليس له أن يعفو عنه ؛ بل يعاقبه ثم يستتيبه، فإن تاب قبل منه، وإن لم يتب أعاد عليه العقوبة، وخلده في الحبس حتى يتوب ويراجع" .

و لأمر مّا تواصى علماء السلف بالكف عما شجر بينهم وتطهير الألسنة عن ذكر ما يتضمن عيبا لهم أو نقصا فيهم، ويرون الترحم على جميعهم والموالاة لكافتهم، وأقوالهم في التواصي بذلك لا تحصى، ويرون التعرض إلى جانب الصحابة علامة على خذلان فاعله ؛ بل هو بدعة وضلالة .

قال الميموني، قال لي أحمد بن حنبل : يا أبا الحسن، إذا رأيت رجلا يذكر أحداً من الصحابة بسوء فاتهمه على الإسلام .

وروى الخطيب في الكفاية بسنده إلى أبي زرعة الرازي قال: « إذا رأيت الرجل ينتقص أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا

هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة[1]» .

و في فتح الباري لابن حجر –و هو ممن يعتمدهم أبو البيض ويغلو في مدحهم– ما نصه : "اتَّفَقَ أَهْل السُّنَّة عَلَى وُجُوب مَنْع الطَّعْن عَلَى أَحَد مِنْ الصَّحَابَة بِسَبَبِ مَا وَقَعَ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ وَلَوْ عَرَفَ الْمُحِقّ مِنْهُمْ لِأَنَّهُمْ لَمْ يُقَاتِلُوا فِي تِلْكَ الْحُرُوب إِلَّا عَنْ اِجْتِهَاد وَقَدْ عَفَا اللَّه تَعَالَى عَنْ الْمُخْطِئ فِي الِاجْتِهَاد، بَلْ ثَبَتَ أَنَّهُ يُؤْجَر أَجْرًا وَاحِدًا وَأَنَّ الْمُصِيب يُؤْجَر أَجْرَيْنِ"[2] .

قلت : هذا دستور أهل السنة من المسلمين لم يخالفه إلا الروافض والخوارج، وكأني بأبي البيض وقد سمع هذه الأقوال النيرة، تَعَكر دمه، وانتفخت أوداجه، وأفلت الزمام من يده فوقع في هؤلاء الأئمة ورماهم بالنصب وسوء الفهم، واندفع يملي عن ظهر قلب أحاديث المثالب التي كان يلقنها من هب ودب من مريديه من أنعام البشر فيثقون به، ويَلَغون في أعراض الصفوة من خلق الله، فيلعنون أبا سفيان، وابنه معاوية، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، وسمرة بن جندب، وعبد الله بن الزبير، وغيرهم ممن نسيت . مقتدين في ذلك بإمامهم الضال المضل وقد سمعوه مرارا يذكر : إذا رأيتم معاوية فوق منبري فاقتلوه، وسمع النبي معاوية وعمرو بن العاص يتغنيان فقال : اللهم أركسهما في الفتنة ركسا ودعّهما في النار دعّا، وقال صلى الله عليه وآله وسلم : يطلع عليكم من هذا الفج رجل يموت يوم يموت على غير ملتي، قيل : فطلع معاوية، وحديث معاوية في تابوت مقفل عليه

[1] الكفاية 49 .

[2] فتح الباري 34/13 .

في النار، بنادي : يا حنان، يا منان، وقوله عن سمرة : آخركم موتا في النار، فكان سمرة .

و هذه الأحاديث المفتعلة يصرح أبو البيض بأنها أصح من الصحيح وإنما تحاماها أهل السنة لبغضهم في آل البيت، وما يعانونه من النصب في زعمه، ولم يشفع لأولئك الصحابة الكرام رضي الله عنهم وأرضاهم، ولعن عدوهم ومبغضهم، ما شهد الله لهم به من فضل الصحبة والوعد بالحسنى، ولا سيما صهر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وكاتب وحيه، وخال المومنين، سيدنا معاوية بن أبي سفيان، وأول الملوك العادلين في الإسلام، والفاتح الظافر، والأسد القاهر، فإنه كان إذا ذكر فقد صوابه، وأعلن بقاموس من السب والشتم فاق شتائم الروافض والخوارج، ويا ويحه فقد استجلب بذلك غضب الله ولعنته، وقد تقدم حديث (لعن الله من سب أصحابي)، ولم أقف على من أطلق لسانه بالسب واللعن في عدو له كما فعل هذا الأفاك، هذا في الصحابة، أما فيمن بعدهم فشيخ الإسلام ابن تيمية أكل قلبه، واستباح لبّه، فتفنن في الوقيعة فيه، وفي تلاميذه ابتداءً من التكفير إلى التفسيق والتبديع والتجهيل كما سيأتي .

وسئل ابن المبارك عن معاوية فقال : ماذا أقول في رجل قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : سمع الله لمن حمده، فقال معاوية خلفه وهو يصلي وراءه : ربنا ولك الحمد، وقيل له –ابن المبارك– : أيهما أفضل معاوية أو عمر بن عبد العزيز ؟ فقال : لتراب في منخري معاوية مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خير وأفضل من عمر بن عبد العزيز.

و سئل المعافى بن عمران (ياقوتة العلماء) : أيهما أفضل، معاوية أو عمر بن عبد العزيز ؟ فغضب، وقال للسائل : أتجعل رجلا من الصحابة مثل رجل من التابعين ؟ معاوية صاحبه وصهره وكاتبه وأمينه على وحي الله .

و قال الفضل بن زياد : سمعت أبا عبد الله –يعني : أحمد بن حنبل– وقد سئل عن رجل تنقص معاوية وعمرو بن العاص، أيقال له : رافضي ؟ فقال : إنه لم يجترئ عليهما إلا وله خبيئة سوء، ما انتقص أحدٌ أحداً من الصحابة إلا وله داخلة سوء .

و قال إبراهيم بن ميسرة : ما رأيت عمر بن عبد العزيز ضرب إنسانا قط إلا إنسانا شتم معاوية، فإنه ضربه أسواطا .

هذه نقول بينة ولها نظائر أوردها وغيرها ابن كثير في ترجمة معاوية من البداية والنهاية، وانظر ترجمته في تاريخ الإسلام للذهبي وسير أعلام النبلاء له، أحيلك على هذه المصادر، وأنا أعلم أبا البيض لا يعتمدها ويلعن أصحابها ويكذبهم والله حسيبه، وقد حدثني الفقيه محمد التطواني الكتبي بمدينة سلا أنه اشترى كتباً من أبي البيض منها البداية والنهاية قال : فنظرت فيها فوجدته كتب على هامشها سبا ولعنا فاحشا لابن كثير وشيخه ابن تيمية، ومعاوية ومن معه، فأخرجتها من بيتي حالاً، وقد ظل على هذا المنهج الأثيم إلى وفاته، والمسئول عن إضلاله روافض الزيدية كآل السقاف وباعلوي وابن عقيل الحضرمي، وطواغيت الشيعة من شيوخه كمحسن الأمين العاملي، وآل كاشف الغطاء وعبد الحسين شرف الدين الموسوي، وغيرهم الذين أخذ عنهم واستجازهم فلقنوه هذا الضلال وهو غض الإيهاب، في عنفوان الشباب، وقد أعدى مع الأسف بهذا الداء الوبيل إخوته كلهم، ومن مراجعه الأثيرة كتاب (النصائح الكافية لمن يتولى معاوية)، ذلك

الكتاب الخبيث الذي كان يبشر به وينحي باللائمة على شيخه جمال الدين القاسمي لرده عليه[1]، وينعت ذلك الرد بالفشل والضعف، وقد ظهر هذه الأيام كتاب جيد لمؤلف معاصر، سماه (إسكات الكلاب العاوية) يُعد بحق ردّا مفحما على نصائح ابن عقيل الرافضي، وقد أشرت سابقا إلى أن مطاعن أبي البيض في معاوية تجاوزت الحد في السفه والوقاحة وقلة الدين، وقد اخترت منها هذه (الباقة)! نقلا من خطه، ليقف القارئ على هذا الضلال المبين، وإليكها مرقمة :

1– في جؤنة العطار : نقل من مسند أحمد بسنده الصحيح عن عبد الله بن بريدة قال : دخلت أنا وأبي على معاوية فأجلسنا على الفرش ثم أتينا بالطعام فأكلنا، ثم أتينا بالشراب فشرب معاوية، ثم ناول أبي ثم قال : ما شربته منذ حرمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . قلت (أبو البيض) : في هذا دليل على أن معاوية كان يشرب الخمر، لأنه من بيت كان يشربه في الجاهلية، فقد كان والده أبو سفيان شِرّيباً للخمر، وأخباره في ذلك كثيرة، وقوله : ما شربته منذ حرمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تعلل مكشوف، فإنه إذا لم يستطع الصبر عنه حتى بمحضر الناس الذين يستتر منهم خوف الفضيحة والعار وإشاعته بين الناس، فكيف يتركه قبل ذلك، ولا يخفى ما في قوله : منذ حرمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من النكتة التي يعرض بها ؛ إذ لم يقل منذ حرمه الله تعالى[2] .

[1] قال عنها في رسالة إلي [تحت رقم : 29] : (كلها خطأ وضلال، دفعه إليها حبه لبني أمية وموت قلبه في حب أهل البيت على عادة الشوام ؛ بل والأشعرية كلها!!) .

[2] جؤنة العطار 3/1 .

قال أبو أويس : تأمل كلام هذا الرجل لتعلم أنه يتلقى وحيه من الشيطان، وغاية ما في الأثر –إن صح[1]– أن معاوية ترخص في النبيذ لا الخمر، وقد شربه معه بريدة، ومعلوم أن عرب الجاهلية كان معظمهم يشرب الخمر الخالص لا النبيذ، وفيهم من أعمام النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأقاربه، وكان تحريمها تدريجيا لما كان عليه القوم من الإدمان، ولم يكتف أبو البيض بهذا حتى أشار إلى أن معاوية كان يستحل شرب الخمر الصرف، وهذا يقتضي كفره وهو المقصود، وقد صرح بلعنه وتفسيقه ونفاقه كما سيأتي في موبقاته .

2– في الجؤنة أيضا : وهذا الشام الذي امتلأت كتب الحديث من الأحاديث بفضله، مع تصحيحهم لكثير منها، وورودها بالأسانيد النظيفة، لم يصح عندنا في فضله حديث، وكل ما صححه الحفاظ فيه فباطل، وعذرهم في ذلك بيّن، لأن أسانيد ما صححوه على شرط الصحيح، ولكن البلية فيه ممن اشتهر بينهم بالثقة، وهم رووها ائتمارا بأمر معاوية الذي كان يجبر الناس على وضع الحديث في فضل الشام، وأن أهله على الحق، وأن الهجرة إليه واجبة، وأن به الطائفة المنصورة، وأن

[1] رواه أحمد في المسند [رقم 23329 ط بيت الأفكار الدولية] قال : حدثنا زيد بن الحباب، حدثني حسين، حدثنا عبد الله بن بريدة نحوه .

قلت : وهذا الإسناد وإن كان ظاهره الصحة لكنه **منكر**، والآفة فيه من : حسين بن واقد الخراساني، استنكر الحفاظ أحاديثه عن عبد الله بن بريدة، جاء في العلل ومعرفة الرجال للإمام أحمد : [(1420) سمعت أبي يقول : قال وكيع : يقولون إن سليمان أصحهما حديثا، يعني : ابن بريدة . قال أبي : **عبد الله بن بريدة الذي روى عنه حسين بن واقد ما أنكرها**، وأبو المنيب أيضا، يقولون : كأنها من قبل هؤلاء] .

به الأبدال، ونحو ذلك مما كان يجمع به الطغام والجهلة، ويتألف بهم على علي وأهل العراق الخ[1] .

قال أبو أويس : هذا كما ترى كلام ملغوم يترتب عليه سوء الظن برواة الحديث من الصحابة فمن بعدهم، ومعاذ الله أن يفعلوا وهم ممن شهد له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالخيرية، فكيف يجمعون على الكذب على الرسول عمدا وهو كفر ؟ نعم كان هناك سباب وتلاعن وتقاتل نشأ عن اجتهاد في الرأي، ونحن مأمورون بالإمساك عما شجر بينهم، ويعجبني قول أبي البيض : لم يصح عندنا . وهنا ينشد قول القائل :

يقولون : هذا عندنا غير جائز ... فمن أنتم حتى يكون لكم (عِنْدُ) ؟

و من الطرائف العجيبة الدالة على تلاعب الهوى بأهله، أن أبا البيض لما هاجر إلى مصر في آخر حياته، وحج واعتمر وزار السودان وسورية كتب إلى ذنبه الكرفطي وإلى أخيه الحسن، يقول بأنه رجع عما كان يعتقده في الشام وأهله من الشؤم والنصب، وأنه يعتقد ما صح في فضله، وأنه لو أقام هناك أياما لأحدث انقلابا في الأفكار والناس، ومثل هذا قاله في السودان وهو دلالة واضحة على عقلية الرجل الخرافية، ورقاعته .

3– وفيها أيضا بعد حكاية عن مجنون بالعراق وكيف كان يخطب في الصبيان والعوام في تمثيلية عجيبة،

[1] جؤنة العطار 5/1 .

قال أبو البيض : كأنه كان يعلم الصبيان والعوام ما يجب عليهم أن يعتقدوه فيهم (بني أمية) حتى ينزلوهم منازلهم، ولا يغتروا بالمبتدعة النواصب الذين يرفعون من قدر معاوية ويدافعون عن ابنه اللعين[1] .

4- وفيها أيضا نقلاً عن تاريخ الإسلام للذهبي أن الإمام مالكا قال : إن معاوية نتف الشيب كذا وكذا سنة، وكان يخرج إلى الصلاة ورداؤه يحمل، فإذا دخل مصلاه جعل عليه، وذلك من الكبر[2].

قال أبو البيض : وهذا يكذب ما نقل عنه من قوله : غبار حافر فرس معاوية أفضل من عمر بن عبد العزيز، وربما نقل بعضهم هذا عن ابن المبارك، وكله كذب، وإذا وصف مالك معاوية بالكبر وهو يعلم الحديث الصحيح (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من كبر) المخرج في صحيح مسلم، فلا يجوز أن يقول ذلك في عمر بن عبد العزيز[3] .

قال أبو أويس : الأثر معضل ومعلق، ولكنْ أبو البيض أتى به ليستنبط منه أن معاوية لا يدخل الجنة لما به من الكبر، فافهم شيطنة الرفض كيف تدفع صاحبها إلى الفجور والبهت .

5- في الجؤنة أثناء الرد على ابن العربي المعافري في قوله من (سراج المريدين) : إنه لهما (علي ومعاوية) محب ومعظم، ولعلي مقدم لعظيم منزلته وعلو درجته، وأن أحدا من الخلفاء الثلاثة لا يدرك شأوه ولا يلحق منزلته ولا خلافته بعده .

---

[1] جؤنة العطار 13/1 .

[2] تاريخ الإسلام 48/2 .

[3] جؤنة العطار 57/1 .

قلت (أبو البيض) : وهذا منه كما قال علي عليه السلام للخوارج كلمة حق أريد بها باطل، فإن ابن العربي ما أراد بها إلا أن يلقي الغبار في العيون حتى لا يتهم إذا أطلق لسانه في علي وآل بيته في مكان آخر . ومن قرأ كتبه ولا سيما العواصم عرف أنه كذاب في مقاله هذا على أنه دسّ السم في العسل بقوله : الطائفتين اللتين تنازعتا تطلب الحق، ومعلوم أن معاوية كان يطلب الباطل بالنص والإجماع على أنه باغ كما حكى الإجماع على ذلك غير واحد، منهم النووي في شرح مسلم، ويكفينا عن الإجماع : تسميته صلى الله عليه وآله وسلم باغيا في الحديث المتواتر المقطوع به ! وكذلك في قوله (ابن العربي) : وأنا لهما معظم، وفي الحقيقة ما هو محب معظم إلا لمعاوية، وكيف يحب من أمر الله ببغضه، ويعظم من أمر الله بإهانته[1] !! .

قال أبو أويس هكذا يحكم أبو البيض على النيات والضمائر، ويكذب على الله ورسوله فيزعم أن الله تعالى أمر ببغض معاوية وإهانته، ووالله ما البغيض المهان إلا من افترى على الله ورسوله، وكان الأولى به أن يرد على ابن العربي فكرته الغريبة منه وهي تقديم علي على الخلفاء الثلاثة وهو يعلم أنه كان يصرح بأنهم أفضل منه[2]، ومن فضله عليهم أقام عليه حد المفتري .

6- وفيه رد الحافظ ابن حجر حكاية تتعلق بلعن علي رضي الله عنه بأمر معاوية رضي الله عنه، وتعقبه أبو البيض بقوله : إن أمر معاوية ومن اتبعه من بني أمية بلعن علي عليه السلام في المدن والقرى وعلى المنابر متواتر مقطوع به، مذكور

[1] جؤنة العطار 36/2 .

[2] روى البخاري في صحيحه 3395 عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنَفِيَّةِ قَالَ : قُلْتُ لِأَبِي : أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ قَالَ: أَبُو بَكْرٍ . قُلْتُ : ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : ثُمَّ عُمَرُ، وَخَشِيتُ أَنْ يَقُولَ عُثْمَانُ . قُلْتُ : ثُمَّ أَنْتَ . قَالَ : مَا أَنَا إِلَّا رَجُلٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ .

في صحيح مسلم أيضا، وكشف علي عليه السلام وإخباره بالمغيبات أمر يفوق العد والحصر بحيث لو جمع لجاء منه مجلد[1] .

قال أبو أويس : ومبالغة أبي البيض معهودة منه ولا سيما في مثل هذا الموضوع، وسب علي على المنابر كان مقابلا بمثله من الشيعة[2]، وهذه من آثار السياسة قبحها الله، وكشف علي كان أبو البيض كلفاً به، وما صح منه تسعه صفحة، ولكن مصادر أبي البيض في هذا كتب الروافض، وهي مدونات أكاذيب .

7– وفيه نقل أبو البيض من تاريخ الطبري في ترجمة المعتضد العباسي كتابه المشهور في مساوئ بني أمية ولعنهم، وقد نشط أبو البيض فتجشم نقل الكتاب كله رغم طوله لما تضمنه من مصائب وفضائح ولّدتها السياسة المعوجة، ومن أخطرها تفسير آية (وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا (60) [سورة الإسراء]) بقوله : ولا اختلاف بين أحد أنه أراد بها بني أمية !! وكان أبو البيض معجبا بهذا الكتاب الملفق، وقد أرشدني إليه مرة وقال: إنه من أفضل ما كتب في موضوعه[3]، ومنه عرف تلك الأحاديث الموضوعة في لعن معاوية وأبيه وآل بيته، فاعجب لرجل عاش يزعم أنه إمام المحدثين والسّلفيين، وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخبر به وبدعوته كما في أواخر كتابه "مطابقة الاختراعات العصرية" يؤمن بتُرَّهات السياسة، وهو يعلم أن ذلك مما عملت أيديهم، علاوة على أن ذلك مروي وجادة لا سند لها .

---

[1] جؤنة العطار 117/2 .

[2] وفي تاريخ الطبري 15/6 : وفي هذه السنة (283هـ) عزم المعتضد بالله على لعن معاوية بن أبي سفيان على المنابر، وأمر بإنشاء كتاب بذلك يقرأ على الناس .

[3] انظر الجواب المفيد 58 .

8- وفيه ما نصه : فائدة جليلة، أورد فيها من "أنساب الأشراف" للبلاذري حديث : يطلع عليكم من هذا الفج رجل يموت يوم يموت على غير ملتي، قال عبد الله بن عمرو بن العاص : وتركت أبي يلبس ثيابه فخشيت أن يطلع، فطلع معاوية، أورده بسندين، وقال أبو البيض : وهذا حديث صحيح على شرط مسلم، وهو يرفع كل غمة عن المؤمن المتحير في شأن هذا الطاغية قبحه الله، ويقضي على كل ما يموه به المموهون في حقه، ومن أعجب ما تسمعه أن هذا الحديث خرجه كثير من الحفاظ في مصنفاتهم ومعاجمهم المشهورة، ولكنهم يقولون : فطلع رجل ولا يصرحون باسم اللعين معاوية ستراً عليه وعلى مذاهبهم الضلالية في النصب وهضم حقوق آل البيت، ولو برفع منار أعدائهم، فالحمد لله الذي حفظ الشريعة رغما على دس الدسّاسين، وتحريف المبطلين[1]

قال أبو أويس : كتبت أنا بخطي على هامش نسختي ما نصه : هذا الحديث باطل مكذوب، والبلاذري نفسه مُتكلم فيه، وإذا كانت هذه الأحاديث بهذه الأسانيد المركبة والتي هي عند المؤلف الهالك على شرط مسلم، فلماذا اتفق الحفاظ الثقات –إلا من طعن فيه– على الإضراب عنها وتركها، وإلا لزم الحكم عليهم بالنفاق والنصب، وهو ما يرمي إليه المؤلف –و قد صرح به كما ترى– والسبب في إبهام الرجل بعد ثبوت الحديث !! ونحوه : خوف أن يسبق إلى فهم القارئ ظاهره فيسوء ظنه بصحابي جليل، لا كما فهم الرافضي أبو البيض . وتراه يحمد الله على حفظ الشريعة كأنه متوقف على لعن معاوية ومن معه، ويلاحظ أن جزء (أنساب الأشراف) للبلاذري الذي ينقل عنه أبو البيض طبعه يهودي

[1] جؤنة العطار 159/2 .

بالقدس قديما، ولم يكن طبع كله أو معظمه، فافهم نكتة سبق يهودي إلى طبع هذا البلاء !

9- وفيه حملة أبي البيض على الشام وأهله النواصب في زعمه، وذكر السبب في ذلك فقال : والذي جرأهم على ذلك معاوية قبحه الله، فإنه كان يأمر الرجل أن يقوم في الناس فيخطب ويروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حديثا في فضل الشام وأهله، وأن الإيمان والحق مع أهل الشام إذا وقعت الفتن، وأن الشيطان مع أهل العراق يريد أنصار علي عليه السلام، فاعرف هذا ينحل لك به إشكال عظيم يستشكله كثير من الناس في تلك الأحاديث الواردة في فضل الشام التي صححها كثير من الحفاظ اغترارا بظاهر الإسناد وبحال أهل الشام الأقدمين في العصبية لبني أمية لعنهم الله، مع أنها مخالفة للواقع غير مطابقة للحال المشاهد اليوم من الشام وأهله، فإن فيها : إن الإيمان في آخر الزمان عند وقوع الفتن يكون بالشام، وهذا هو آخر الزمان، وليس بالشام إيمان زائد على غيره من الأقطار، بل الإلحاد بدأ يفشو في أكثر من غيره، وكذلك لا يوجد شيء به مما هو مذكور في تلك الأحاديث التي افتراها معاوية اللعين وأنصاره[1] .

قال أبو أويس : كتبت على طرة الأصل ما نصه : تأمل صنيع المؤلف واعترافه بتصحيح كثير من الحفاظ لهذه الأحاديث لنظافة أسانيدها، وهو الذي يؤمن بما اختلقوه من مثالب أهل الشام، وبني أمية ولو بدون إسناد، ومعاذ الله أن يتواطأ أولئك الأئمة رحمهم الله ورضي عنهم على الكذب واختلاق الفضائل، وهم كانوا أشحاء على دينهم لا يتساهلون فيه، ولكن المثل يقول : (السفيه ما كَيْنْوَى غِيرْ لِّي فِيهْ) وأبو البيض ببسمة ولقاء مصطنع ظفر به من جمال عبد الناصر، باع

[1] جؤنة العطار 160/2 .

دينه، وزعم في كتابه (مطابقة الاختراعات العصرية) أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخبر به –أي جمال– وأنه سينصر الإسلام الخ، فعجبا ممن يبصر القذى في عين أخيه، وينسى الجذع في عينه، ثم إن اللعين حقا من يطلق لسانه في أعراض فضلاء الأمة من الصحابة وغيرهم بدون خوف ولا حياء، وإذا كانت أحاديث فضائل الشام –و قد صح منها الكثير– كما في كتاب (فضائل الشام) للرَّبعي وهو مطبوع بتخريج شيخنا الألباني، لا تصح لعدم انطباقها على الحال، فما القول فيما ورد في الحرمين الشريفين، وهي أكثر وأصح، وقد انحسر الدين منهما، وتغلغل الإلحاد والتفرنج، وأصبح لأمريكا واليهود نفوذ كبير فيهما، وقديما حكم الروافض ومن يُسمّون الأشراف الجزيرة العربية، وارتكبوا فيها من الجرائم ما يندى له جبين الإنسانية، وليس معنى هذا أننا نشكك في الأخبار النبوية، ومعاذ الله، ولكننا نقول بأن ما ورد واقع ولكن لم يحن وقته بعد، ثم إن أبا البيض رجع عما كان يعتقده في الشام وأهله كما أشرنا سابقا، ونوى اللجوء إليه وسكناه ! وهكذا يفعل الهوى بأهله .

10– وفيه حمل أبو البيض حملة شعواء على الحافظ ابن حجر لقوله بعدالة الصحابة وأن ما صدر منهم من قتال كان عن اجتهاد، رغم ما ثبت من أحاديث عن علي وأنه على الحق، وعن معاوية وأنه كان مبطلا باغيا، وما ورد في أبي الغادية قاتل عمار في النار، قال أبو البيض : وهو أصح من الصحيح مع أنه مُعَل وهو يعرف ذلك، وأنهى أبو البيض حملته على ابن حجر بقوله يعظه : فاتق الله يا حافظ، وتب إليه من هذا الورع الكلبي الذي يؤول بصاحبه إلى الكفر وتكذيب خبر الصادق المصدوق صلى الله عليه وآله وسلم، والصحابة ليسوا بأنبياء معصومين، ولا ملائكة مقربين، حتى يضطر إلى تكذيب خبر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم دفاعا عنهم، ولا سيما من ليس له قدم في صحبة رسول الله، ولا

فضيلة ملازمته وخدمته، فإن هذا الضرب منهم قد ثبت فيهم المنافقون ومن ارتدوا عن دينهم في حياته صلى الله عليه وآله وسلم وبعده الخ[1] .

قال أبو أويس : والصحابة رضي الله عنهم بشر غير معصومين، ولكنّ الله أكرمهم برؤية رسوله والإيمان به، والاستمرار على ذلك إلى الوفاة، ومن ثبت عنه انحراف ومعصية فنحن نعتقد أن الله وفّقه إلى التوبة وغفرها له، وقد ثبت عنه عليه الصلاة والسلام أن من دعا عليه وهو غير مستحق أن يجعلها الله سببا لغفران ذنوبه[2]، وأبو الغادية يسار الجهني قيل بأن له صحبة، وأنه قتل عمار ابن ياسر رضي الله عنه متأولا مجتهدا، فقد ثبت في روايتين أنه سمعه يقع في عثمان رضي الله عنه بمسجد قباء فغاظه ذلك وأقسم إن ظفر به قتله، ففعل، وما ورد من حكايته مع الحجاج، وقد أوردها أبو البيض هنا نقلا عن" الإصابة" دون الإشارة إلى ذلك وحذف نقد الحافظ للرواية بالانقطاع، وضعف راو شيعي[3].

وقد كتبت بخطي على هذا الموضع من الجؤنة ما نصه بعد أن اتهم الحافظ بأن صنيعه في تأويل حديث (قاتل عمار في النار) يفضي إلى تكذيب النبي .

قلت : يعني وينتج عن ذلك كفر الحافظ ابن حجر، وهذا ما يزعم الروافض سلف المؤلف الطالح، ولا ذنب له إلا أنه قال ما اتفقت عليه جماهير السنة، ولكنْ

---

[1] جؤنة العطار 200/2 .

[2] رواه مسلم في صحيحه 4705 عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلَانِ فَكَلَّمَاهُ بِشَيْءٍ لَا أَدْرِي مَا هُوَ، فَأَغْضَبَاهُ، فَلَعَنَهُمَا وَسَبَّهُمَا، فَلَمَّا خَرَجَا، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَصَابَ مِنْ الْخَيْرِ شَيْئًا مَا أَصَابَهُ هَذَانِ، قَالَ : وَمَا ذَاكِ؟ قَالَتْ : قُلْتُ : لَعَنْتَهُمَا وَسَبَبْتَهُمَا، قَالَ : أَوَ مَا عَلِمْتِ مَا شَارَطْتُ عَلَيْهِ رَبِّي، قُلْتُ : اللَّهُمَّ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ فَأَيُّ الْمُسْلِمِينَ لَعَنْتُهُ أَوْ سَبَبْتُهُ فَاجْعَلْهُ لَهُ زَكَاةً وَأَجْرًا .

[3] انظر الإصابة 381/3 .

المؤلف أبو البيض ومن معه يحكمون على ضمائر الناس وقلوبهم، ويعتبرونهم —و فيهم الأئمة الأربعة وكبار أصحابهم– مقلدين مغفلين منساقين وراء النواصب الذين أسسوا لهم هذا، ولا أدري من هم إن لم يكونوا الصحابة والتابعين، فتأمل كيف يتمكن الضلال والابتداع من المرء فيطوّح به في مهاوي الهلاك وهو لا يشعر .

11– وفيه نقلا عن عمر بن شبة في أخبار المدينة بسند فيه مجهول أن عليا عليه السلام لما حضرته الوفاة قال لأمامة بنت أبي العاص : إني لا آمن أن يخطبك هذا الطاغية —يعني : معاوية– فإن كان لك في الرجال حاجة، فقد رضيت لك المغيرة بن نوفل عشيرا، فلَّما انقضت عدتها كتب معاوية إلى مروان يأمره أن يخطبها عليه، وبذل لها مائة ألف دينار، فأرسلت إلى المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب : إن هذا قد أرسل يخطبني، فإن كان لكَ بنا حاجة فأقبل، فخطبها إلى الحسن فزوجها منه

قال أبو البيض : في هذا دليل على كشف علي عليه السلام، وعلى تسمية علي معاوية بالطاغية، والطاغية رئيس الكفار[1] .

قال أبو أويس : والمقصود من هذا النقل الباطل تكفير معاوية من قِبل علي رضي الله عنه، ولم يَصِل ما كان بينهما إلى هذا الحد، فإن معاوية رضي الله عنه ثبت عنه أنه قال مرارا وتكرارا بأنه لم يقاتل عليا على الإمارة لأنه لا يستحقها، وقد كان خصمه يعرف منه هذا، ورحم الله أبا زرعة الرازي فقد روى ابن عساكر في ترجمته من تاريخ ابن عساكر: أن رجلا قال له : يا أبا زرعة، أنا أبغض معاوية،

[1] جؤنة العطار 208/2 .

قال : لِمَ ؟ قال : لأنه قاتل علي بن أبي طالب، قال : فقال له أبو زرعة : "إن رب معاوية رب رحيم، وخصم معاوية خصم كريم، فإيش دخولك أنت بينهما رضي الله عنهم أجمعين[1]"، وأبو البيض نجم بطنجة، وانتصب لرواية أخبار مثالب الصحابة وترويجها، وملأ بها كتبه ورسائله حتى امتلأت قلوب الشباب بغضا وكراهية للصحابة، وأخذ يتناولهم بالنقد والتجريح عمال الميناء، والمتسولون البطلة من رواد الزاوية، ورجال البوليس، وسمعت من بعض طلابهم من يتناول أبا بكر الصديق رضي الله عنه أفضل الناس بعد الرسول معتقدا أنه حرم فاطمة رضي الله عنها من إرثها في أبيها ومنعها أرض (فدك)، وهنا ينشد قول حكيم المعرة : [الطويل]

فيا موتُ زُرْ، إن الحياة ذميمة ... ويا نفسُ جِدّي، إنّ دهرك هازِلُ

12- وفيه أورد أبو البيض حكاية طويلة مفتعلة بدون شك، ولم يذكر مصدره فيها على عادته، في حوار جرى بين شعبة[2] بن غريض، وكان يهوديا فأسلم، وبين معاوية أنشده فيه شعبة شعرا لأبيه يرثي نفسه، فقال معاوية : أنا كنت أولى بهذا الشعر من أبيك . قال : كذبت ولؤمت . قال: أما كذبت فنعم، وأما (لَؤُمْتَ) فَلِمَ ؟ قال : لأنك كنت ميت الحق في الجاهلية، وميته في الإسلام، أما الجاهلية فقاتلت النبي صلى الله عليه وآله وسلم والوصيّ حتى جعل الله كيدك

[1] تاريخ دمشق 141/59 .

[2] كذا ورد عند أبي البيض في الجؤنة والصواب : سعية (بالسين المهملة، ومثناة تحتية) كذا ضبطه الحافظ ابن حجر في الإصابة 489/1 . وقد نسب الخبر لأبي الفرج الأصبهاني . وأبو الفرج حاله معروف، وكذلك حال رواياته !!

المردود، وأما في الإسلام : فمنعت ولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الخلافة، وما أنت وهي ؟ وأنت طليق بن طليق، فقال معاوية : قد خرف الشيخ فأقيموه، فأخذ بيده فأقيم . قال أبو البيض مباشرة : رضي الله عنه (يعني شعبة)، ولعن معاوية وأخزاه[1]

قال أبو أويس : وأنا أقول كما قال رسول الله : (لعن الله من سب أصحابي)

.

13- وفي رسالة من أبي البيض إلى أبي الفتوح مؤرخة ب 6 صفر 1379 هـ ما نصه : وأنصار أهل البيت من الصحابة، وأعداؤهم، لم يُؤَلَّف فيه فيما رأينا، وإنما يعرف ذلك من كتب التاريخ والرجال، فمن قرأ حروب أهل بيت علي عليه السلام وذريته، مع الطاغية معاوية وحزبه، عَلِمَ الأنصار من الأعداء، فعليك بقراءة الاستيعاب لابن عبد البر، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (الرافضي المعتزلي) .

14- وفي رسالة منه إليه بتاريخ 29 حجة 1379 هـ وقد امتدحه في طالعتها بقوله : الأخ الأجل العلامة الواعية، الداعية إلى الحق، التقي النقي الصوفي !! ثم قال : (و اليوم أرسلت إليك (باكيتا) به (النصائح الكافية) الكتاب العزيز الغالي النادر الوجود، فشُدّ يدك عليه، وقم بواجب حقه وهو الدعاية لله ورسوله وآل بيته الأطهار، وبُثَّ مساوي عدو الله معاوية بين المسلمين، حتى تنقلهم من بدعة تحسين الظن به والترضي عنه وتعظيمه، فإن في ذلك نكاية لله ورسوله وآل بيته، أعانك الله على الخير آمين.

[1] جؤنة العطار 222/2 .

و أثر عمرو بن العاص الذي خرجه أحمد من جهة ابن لهيعة، ولكن ابن لهيعة لا ذنب له فيه، فهو من أصله فاسد، ودعوى من عمرو لا تقبل منه، ولا يصدقه فيها الواقع، فإنه لو حفظ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ألف مثل لنقل عنه، ولو مائة، بل وخمسون كما وقع لغيره من الصحابة الذين اعتنوا بنواح مخصوصة فحفظوها عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنقلت عنهم بتمامها .. وأما قول ابن كثير : إن في ذلك فضيلة لعمرو لقوله تعالى (و ما يعقلها إلا العالمون) فمن كذب النواصب، ومغالطتهم والتماسهم الفضائل بالباطل والافتراء، كقولهم في الطاغية (معاوية) خال المؤمنين، ولو عقل ابن كثير لاستحيى أن يذكر هذا الباطل، لأن الله تعالى قال : (و ما يعقلها إلا العالمون) ولم يقل وما يحفظها، وعمرو زعم أنه حفظها لا عقلها، لأن العقل هو الفهم والعمل بها، وعمرو لم يكن عاملاً بواحد منها فضلا عن جميعها، أما الحفظ فقد يحفظها الكفرة والمنافقون، فهذه كقولهم في الطاغية (معاوية) إنه كاتب الوحي مع أنه لم يكتب من الوحي إلا آيات معدودات، فإنه بعد إسلامه لم ينزل من القرآن الكريم إلا أقل من القليل، لأن ثلثي القرآن تقريبا نزل بمكة، والباقي نزل قبل الفتح الذي أسلم فيه الطاغية، ومع هذا فما من مسلم يحفظ القرآن وهم المليارات إلا وقد كتب الوحي من أوله إلى آخره خمس مرات أو ستة وهو يحفظه، فلا تَرُجْ عليك دسائس أعداء آل البيت، أعداء الله ورسوله) .

ثم ذكّر ابن كثير بالحديث الموضوع الوارد في معاوية وعمرو، ودعاء النبي صلى الله عليهما، وقد سبق ذكره .

قلت : هذه الرسالة مصورتها تحت اليد من أخبث ما كتب أبو البيض، وقد رأيت وصيته لذنبه ووارث (شره) أبي الفتوح بالعناية[1] بكتاب (النصائح الكافية، لمن يتولى معاوية) للرافضي المحترق الضال المضل محمد بن عقيل الحضرمي، وهو أحد شيوخ أبي البيض، وكتابه المذكور هو المسئول عن ضلاله في هذا الباب، ومنه يستقي المثالب المزعومة التي جمعها الرافضي من "مروج الذهب" للمسعودي الشيعي، وتاريخ اليعقوبي الشيعي، ووقعة صفين، وتاريخ الطبري من رواية سيف بن عمر ونحوه من الهلكى، وأبو البيض يأمر ذنبه بنشر الكتاب ودعوة الناس إلى ما فيه من ضلالات، وقد قام أبو الفتوح بذلك خير قيام فسمعت من عدد من الطلبة والفقراء وقيعتهم في معاوية خال المؤمنين، وكاتب وحي رب العالمين، كما وصفه بذلك كثير من أئمة السلف الذين لا نسبة بينهم وبين أبي البيض، ولكنه يفوقهم جميعا في الوقاحة والرقاعة، وليعلم أن هذه الرسالة كتبها أبو البيض قبل موته بسنة، ومنها يُعرف ما أكدته لبعض الناس أنه مات وهو يعتقد هذه المصائب التي أنا بصدد بيانها والرد عليها حمية لله ورسوله، وغيرة على دينه وحرمة النبي وأصحابه، ثم إن أبا الفتوح نكص على عقبيه، وألقى وصية شيخه، فأحرق كتاب (النصائح) ولأمر مّا أخلى (در الغمام الرقيق) من هذه المصائب كلها، وهو مجانبة للصواب والأمانة العلمية، والنصيحة الواجبة، وهو يعلم أن الأمر دين، وبدلا من أن يُسلم لله تعالى، ويُعلن توبته، ويكتب كتابا يبين فيه الحق الذي تنكبه

[1] ومع ذلك تجد محدث البيضاء والبريجة !! عزنان زحار ينكر هذا، فيقول في دفاعه [ص 53] : ومن كذبه المفضوح أيضا قوله عن كتاب "النصائح الكافية لمن يتولى معاوية" المنسوب إلى ابن عقيل الحضرمي : "و هذا الكتاب كان أحمد يوزعه وينصح بقراءته" . قلت –القائل هو عدنان– : "لم يذكر الفاري من أين له هذا ولا من أعلمه به، وهكذا يكون التحقيق والتوثيق، وكذلك يكون التبين والتثبت من المتعالمين، وقد قال : (إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا)" . فتأمل، وقبح الله من لا يستحيي .

في سبيل الحصول على المشيخة، وازدحام الأنعام على تقبيل يديه ورجليه، ودسّ (الزيارة) في يده، وقد حصل هذا كله، فلعله يُقلع عنه ويُسلم لله رب العالمين، وكتاب (النصائح) طبع مرارا على الحجر والحروف، وفي إحدى طبعاته صورة مؤلفه، والجدير بالذكر أنه ظهر هذه الأيام كتاب مبارك يسمى (إسكات الكلاب العاوية، بفضائل خال المؤمنين معاوية) لأبي معاذ محمود بن إمام بن منصور، وهو يُعتبر أوفى وأجلّ رد غير مباشر للنصائح، وقد تقدم ذكره، فأوصي إخواني بقراءته ونشره بين الناس لإنقاذهم من بلاء الرفض والعياذ بالله تعالى .

15- وفي رسالة منه إليه مؤرخة ب 4 ربيع الأول 1379 هـ يقول :

و معاوية كتب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث مرات أو أربعة لأنه ما أسلم إلاّ زمن الفتح، وقد نزل أكثر القرآن، وكان له صلى الله عليه وآله وسلم عدة كتاب، وهب أنه كتب القرآن كله، فما في الدنيا أحد حفظ القرآن الكريم إلا وقد كتبه بيده سبع مرات أو أكثر، وقد كان رجل يكتب القرآن للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فلَّما مات وقبر لفظه قبره، وذلك في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وقد ذهب عني اسمه الآن مع اشتهاره، وللعجلة المفرطة لم يمكني البحث عنه، ويمكنك أن تعرف ذلك من الإتقان وغيره، وإنما النواصب يخلقون المناقب لصاحبهم، كما يسمونه خال المؤمنين كذبا وزورا، مع أن الفقهاء نَصُّوا على كراهة ذلك في كتب الخصائص، وإلا لكان والد صفية بنت حيي جدّ المؤمنين، وكذلك اللعين أبو سفيان فإنه والد أم حبيبة رضي الله عنها أم المؤمنين، ولهذا قال المحدثون والأئمة : إنه لا يؤخذ الاسم بالقياس في هذا الباب ؛ بل منعوا، وأولهم السيدة عائشة رضي الله عنها أن يقال أم المؤمنات أيضا، لأن الله جعلهن أمهات المؤمنين الذكور لا الإناث مع إمكان دخولهن في الميم من قوله (و أزواجه أمهاتهم)، فكيف

يقاس الخال على الأم، والمقصود أن النصب غلق (كذا) لهم ما يقولون، قبحهم الله .

قال أبو أويس : هكذا يهوّن أبو البيض من شأن خال المؤمنين –زُغم أنفه– معاوية رضي الله عنه، ويغالط في ذلك ويماري، ولا يحصى من علماء السلف والسنة من وصفه بذلك، وهذا البربهاري والموفق ابن قدامة وصفاه بذلك في عقيدتيهما، والمسألة لا تحتاج إلى تهويل، والخطب فيها سهل ولا مانع منها، وانظر إلى اعتداد أبي البيض بكراهة الفقهاء لذلك، ولا أدري من هم، وعهدي به لا يقيم وزنا للأئمة الكبار، والتنظير بحيي بن أخطب والد صفية أم المؤمنين، مما أوحاه إليه إبليس، فإن معاوية صحابي مؤمن –و إن كره الكافرون–، وحُيَي يهودي، فهل تستوي الظلمات والنور، واختلاق النواصب المناقب لصاحبهم، مقابل بمثله من الروافض على أن هؤلاء كذبوا، وما زالوا يكذبون إلى الآن في اختلاق المناقب والخصائص، ونقاد الحديث يعرفون أن ما وضع في فضائل آل البيت عموما، وعلي وولديه خصوصا أضعاف أضعاف عشر مرات مما وُضع في فضائل معاوية، فانظر كيف يتلاعب الهوى بأصحابه ويتجارى بهم كما يتجارى الكَلَبُ بصاحبه، نسأل الله العافية .

الفصل الثالث عشر

جزمه بأن أغلب الصحابة كانوا يبغضون علياً

و أنهم لذلك منافقون لحديث "لايحبك إلا مؤمن"، وغلوه في علي وإشارته إلى أنه كان يوحى إليه

معلوم أن مذهب أهل السنة والجماعة من السلف الصالح تعديل الصحابة كلهم بدون فرق، ومن ثبت أنه اجتمع بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم سواء رآه أو لم يره كالعُميان، وآمن به، واستمر على إيمانه إلى الوفاة، فهو صحابي، طالت صحبته أو قصرت، غزا معه أو لا، ولم تتخلل إيمانه ردة، كما أن مذهبهم فيهم أنهم غير معصومين، وقد تصدر منهم أخطاء ومعاصي، إلاّ أنهم لم يموتوا حتى يوفقهم الله تعالى للتوبة، وذلك لما ورد في فضلهم في كتاب الله تعالى كقوله : (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) [الفتح :29] . وقوله عز وجل : (لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (8) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (9) وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (10) [الحشر] . وقوله سبحانه :

(وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) [التوبة : 100] . وقوله عز من قائل : (لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) [الحديد : 10] . وقوله سبحانه : (لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (18) وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (19) [الفتح] . إلى غيرها من الآيات ؛ بل كل ما ورد في القرآن العظيم من صفات المؤمنين وأخلاقهم وشمائلهم ينطبق عليهم بالدرجة الأولى لأنهم شاهدوا التنزيل وفيهم نزل، أما ما ورد في فضلهم عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فقد أفرد بالتصنيف لكثرته، ويكفي فيه ما رواه مسلم[1] عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : "لا تسبوا أصحابي، لا تسبوا أصحابي، فو الذي نفسي بيده، لو أن أحدكم أنفق مثل أُحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه" . وقوله : "لعن الله من سب أصحابي" وقد حسنه شيخنا الألباني في صحيح الجامع .

وقد تخطى أبو البيض هذه الآيات والأحاديث، وجعلها دَبْرَ أذنه، وتورط في بلاء التشيع والرفض، فأعلن تكفير وتفسيق جماعة منهم يتراوح عددهم بين الستة والعشرة، وتصيد أحاديث وآثاراً يروجها الروافض، وبذل جهده في إقامتها وإحيائها، وهي ميتة مهجورة لما يكتنفها من علل ومطاعن، وأخذ يشنف بها مسامع البهائم من مَريديه الأُميين كلما سنحت الفرصة حتى أوغر صدورهم، وملأ

[1] صحيح مسلم رقم : 1967 .

قلوبهم بغضا وعداءً لأفضل جيل شرَّف الله به أرضه من عهد آدم إلى الآن، وعرفته الإنسانية كما يشهد بذلك التاريخ الصادق، ولم يكفه الولوغ في أعراض هذه الثلة من أولياء الله، حتى وقع في الفاقرة العظمى والموبقة الكبرى، وهي الحكم على أغلب وأكثر الصحابة بالنفاق، فلنستمع إليه يقول في رسالة إلى ذنبه الأجرب مؤرخة ب 4 ربيع الأول 1379 هـ يجيب عن سؤال أورده مَريده المذكور حول آية (.. سيجعل لهم الرحمن وُدّا) : ولنضرب مثلا بعلي عليه السلام، فقد كان أكثر الصحابة يعادونه، ويحسدونه ويبغضونه، ولكن الود كان موجودا في قلوب طائفة قليلة من الصحابة، كسلمان، وأبي ذر، وزيد بن أرقم، وعمار، والمقداد، وبهم وبأمثالهم تحقق الود الذي أخبر الله به الخ .

قلت : وهذا والله قول عامة الروافض حَذْوَ القُذّة بالقذة[1]، ومثل قوله هذا أكده في رسالة أخرى لم أجدها الساعة، وتأمل تعبيره ب (أكثر)، ثم إن أبا البيض الظالم نفسه لم يكترث لما يترتب على قوله هذا من الحكم بنفاق الآلاف المؤلفة من الصحابة رضي الله عنهم ولعن مبغضهم بطريق اللزوم، وهو الذي حكم بنفاق عبد الله بن الزبير رضي الله عنه لبغضه لعلي في زعمه لحديث "لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق"، وحكم به على شيح الإسلام بالنفاق لنفس التهمة ؛ بل صب عليه وعلى ابن خلدون جام غضبه، وألّف في الرد عليهما كتابا من أخبث ما كتب سماه "البرهان الجلي، في انتساب الصوفية إلى علي، والرد على ابن خلدون وابن تيمية الحنبلي"، وهو مطبوع، أبدى فيه من أنواع الغلو المقيت ألوانا سوداء استشهد لها بأقوال الغلاة من أوليائه، ولم يستحي أن يحتج بما يعلم أنه

[1] جاء في أصول الكافي للكليني 85/3 : قال جعفر الصادق : كان الناس أهل ردة بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلا ثلاثة . فقيل له : من الثلاثة ؟ فقال : المقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي .

موضوع مفترى كحديث "خلقت أنا وعلي من نور واحد[1]"، وقرر أنه رضي الله عنه أفضل الصحابة كلهم، وإن اعترف أنه رابع الخلفاء الراشدين، ولكن هذه عنده الخلافة الصورية، وأما الخلافة الباطنية العرفانية، والخصوصية اللدنية !! فهي له وحده لا يشاركه فيها أحد[2]، وقد سبق في الرد عليه في موبقة (وحدة الوجود) أنها عقيدة الأنبياء والمرسلين من آدم عليه السلام إلى النفخ في الصور، وأنها ما كانت عليه بواطنهم، وهكذا أباح لنفسه أن يحكم على قلوب الناس وضمائرهم، وهو الذي نقم على التاج السبكي تصريحه بأن عقيدة الأشعرية كانت عقيدة الصحابة وما انطوت عليه قلوبهم، وسماه من أجل ذلك (مجنون الأشاعرة)، ونقل عن ابن العربي في (الفتوحات) أن النبوة نوعان : نبوة تكليف وهذه انقطعت، ونبوة تعريف وهذه ما زالت مستمرة، وإليها أشار ابن العربي فيما أنشده : [المتقارب]

مقـــــام النبـــــوة في بـــــرزخ فُوَيْـــقَ الرســـول ودون الـــولي

و هو ما كان يعتقده أبو البيض ولقّنه شقيقه أبا العسر، وقرره هذا وانتصر له في كتابه (السوانح)، ونقل في البرهان الجلي رواية للطبراني في المعجم الصغير بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال : "كنا نتحدث أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم عهد إلى علي رضي الله عنه سبعين عهدا لم يعهدها إلى غيره" . قال أبو البيض : وبالنظر إلى رجاله يُعلم أنه حسن إن لم يكن صحيحا[3]. هكذا قال، ومر

[1] انظر الفوائد المجموعة للشوكاني رقم : 40 .

[2] انظر البرهان الجلي 63 ..

[3] البرهان الجلي 108 .

عليه محقق كتابه "أحمد محمد مرسي النقشبندي" وسلمه بسكوته، كما فعلا في الحديث الموضوع (خلقت أنا وعلي من نور واحد)، وهما يعلمان أن نور الدين الهيثمي قال في مجمع الزوائد في كتاب المناقب، باب فضائل علي : رواه الطبراني في الصغير[1]، وفيه من لم أعرفهم[2] . فهلا عرفهم وعرّفهم المؤلف الحافظ، والمعلق المحقق !؟

الفصل الرابع عشر

ميله القوي إلى التشيع والرفض، وتنويهه بالرافضة، و روايته عنهم، وإشادته بكتبهم

كان هذا قبل أن أطّلع على معظم تآليفه، وكنت قلت للشيخ حمدي عبد المجيد السّلفي لما سألني عن ترجمة مُوجزة لأبي البيض، بأنه يتشيع ويقف على عتبة الرفض، وقد تأكدت اليوم بأنه غارق في التشيع إلى النخاع، وفي الرفض إلى

[1] المعجم الصغير 953 قال الطبراني : حدثنا محمد بن سهل بن الصباح الصفار الأصبهاني، حدثنا أحمد بن الفرات الرازي، حدثنا سهل بن عبدويه السندي الرازي، حدثنا عمرو بن أبي قيس، عن مطرف بن طريف، عن المنهال بن عمرو عن التميمي، عن ابن عباس قال : كنا نتحدث أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم « عهد إلى علي سبعين عهدا لم يعهدها إلى غيره » لم يروه عن مطرف إلا عمرو بن قيس، ولا عن عمرو إلا سهل، تفرد به أحمد بن الفرات، واسم التميمي : أربدة . وذكره الذهبي في الميزان 170/1 وقال : هذا حديث منكر .

[2] مجمع الزوائد 126/4 . قلت : كل رجاله معروفين مترجمين، وسأذكر المضعف منهم : سهل بن عبدويه المعروف بالسندي، قال أبو حاتم : شيخ، رأيته ولم أكتب عنه . الجرح والتعديل 201/4-318 . وقال ابن حبان في الثقات : يغرب 304/8 . عمرو بن أبي قيس، قال الذهبي في الميزان 285/3 : صدوق، له أوهام.وقال أبو داود: لا بأس به، في حديثه خطأ. وانظر تهذيب التهذيب 82/8 . وأربدة التميمي وثقه العجلي وابن حبان، وذكره أبو العرب الصقلي القيرواني في الضعفاء . تهذيب التهذيب 173/1.

الذقن، ومعلوم لغة واصطلاحا أن التشيع هو: الانتصار والمتابعة والموافقة بالرأي، وشيعة الرجل أعوانه وخاصته، وقد كان علي رضي الله عنه محل تجلّة واحترام من الصحابة رضي الله عنهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لما يعلمون من علمه وفضله وسابقته وقرابته ومصاهرته للنبي، ولكن هذا كله لم يكن ليحول بينهم وبين اختيار الصحابة أبا بكر للخلافة، ودخول علي رضي الله عنه فيما دخلوا فيه مختارا خصوصا بعدما سمعوه يتوعد من يقدمه على من قبله من الخلفاء الثلاثة، بحده حد المفتري، ويعلن مرارا وتكرارا على منبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مختلف المشاهد أن أفضل الناس بعد النبي أبو بكر وعمر.

ومن عجائب المقدور، وغرائب المسطور، أن يوجد هذا التفضيل وهذا الثناء في مصحف الشيعة المزيف (نهج البلاغة) لأمر أراده الله، ولتقوم الحجة على الروافض من كلام معبودهم، والجدير بالذكر أنني سألت أبا البيض عن هذا الكتاب "نهج البلاغة"، فأخبرني مشافهة أنه صحيح، فقلت له بأن جمهور العلماء يطعنون فيه، فقال : إن روحانية لغته تدل على صدقه !!

ثم تطورت الأحوال، وتراكمت الأهوال، بعد مقتل الشهيد المظلوم أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه، ونجمت الفتنة بذرور قرنها عبد الله بن سبأ اليهودي اليمني المعروف بابن السوداء الذي أظهر الإسلام واندسّ في المسلمين للكيد والفرقة، وبذر بذور الكفر والإلحاد، فأظهر أولا التشيع الغالي، ثم ادعى عصمة علي، ثم اختلق فرية الوصية، ثم ادعى في علي الألوهية، وبلغ ذلك عليا فنفاه إلى المدائن، وليته قتله، ولكن ليقضي الله أمرا كان مفعولا، ولم يكف المجرم الضليل عن كيده المدروس المبيت، فلبث يدعو إلى أفكاره الهدامة، ومزاعمه الكفرية وتبعه فئام من الناس ممن غلبت شقوتهم، وفسدت فطرتهم، وانتشر هذا

البلاء حتى صارحوا بذلك عليا، فاستعظم الأمر جدا، وأمر بإحراقهم أحياءً، فقالوا له : الآن علمنا أنك ربنا لأنه لا يعذب بالنار إلا ربها، وأمر علي مولاه قَنْبُر بإشعال النيران، وقذفهم فيها وأنشد : [رجز]

لمـا رأيـت الأمـر أمـرا منكـرا أجّججـــتُ ناري ودعـــوت قنـــــــــــــــــــــبُرا

و أنكر ابن عباس رضي الله عنهما على علي إحراقهم بالنار أحياءً لنهي النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولكن الأمر كان نفذ، وانتشرت من يومئذ الأفكار السبئية المنحرفة وتبنّاها الروافض، وتفننوا في الانتصار لها والدعوة إليها، ووضع الأحاديث والآثار في تأييدها، حتى أصبحت الوصية والعصمة والتقية والبداء والرَّجعة، واعتقاد تحريف القرآن من ضروريات دينهم، وسكتوا عن دعوى الألوهية واعتاضوا عنها بالغلو البليغ، والإطراء المحرم، وقد اختلف العلماء في تعريف جامع مانع للشيعة، فقالوا أقوالا لا تثبت على النقد، وأحسنها وأجمعها قول أبي محمد ابن حزم رحمه الله كما في الفِصَل : من وافق الشيعة في أن علياً رضي الله عنه أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحقهم بالإمامة وولده من بعده فهو شيعي وإن خالفهم فيما عدا ذلك مما اختلف فيه المسلمون فإن خالفهم فيما ذكرنا فليس شيعياً[1] . وهذا كما ترى منطبق على أبي البيض؛ بل زاد غلوا وإفسادا في عقيدته نحوه : فهو عنده يعلم الغيب كله، وأنه إمام الأولياء والعارفين كلهم، وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم اختصه بالمعارف الإلهية، وعهد إليه سبعين عهدا لم يعهدها إلى غيره، وأنه باب مدينة العلم اعتمادا على حديث موضوع ألف

[1] الفصل في الملل والنحل 113/2 .

أبو البيض جزءا في تصحيحه عبثا، وأنه رضي الله عنه خلق والنبي من نور واحد، إلى غير ذلك من أمارات الغلو التي تنادي على صاحبها بالتشيع والرفض، ويرى القارئ أضعاف هذا في (البرهان الجلي)، فقد نقل فيه عن غلاة الصوفية المتأخرين ما يوازي فضائح الروافض، ورحم الله الإمام أبا زرعة الرازي، فقد نقل عنه الخطيب البغدادي في "الكفاية في علم الرواية" قوله : « إذا رأيت الرجل ينتقص أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة[1]» . ولا أدري ما يقول أبو زرعة لو علم أن أبا البيض كان يكفر ويسب ويلعن علنا ستة من الصحابة بأعيانهم وأسمائهم ؛ بل وصرح كما ذكرنا في الفصل السابق بأن أكثر الصحابة كانوا يبغضون عليا ويحسدونه ويعادونه، فهم لذلك منافقون لحديث (لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق)، وهذا قول الروافض بنصه وفصه، إلا نحو أربعة أو ستة الذين سماهم أبو البيض في الفصل السابق، فهل بعد هذا يساورك الشك أيها القارئ في انغماس أبي البيض في حمأة التشيع والرفض، ولن يعدم مطعنا إذا أوردت عليه شهادة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لمعاوية بالجنة في حديث أم حرام، وهو في الصحيح، ودعاء النبي له، وشهادة النبي لعمرو بن العاص بالإيمان، ورضا الله على المؤمنين المبايعين لنبيه تحت الشجرة كما جاء في القرآن، ومنهم المغيرة بن شعبة، كل هذا لا يساوي شيئا بالنظر إلى عقيدته فيهم، نعم إذا جاءت

[1] الكفاية 49 . وقد صدر أبو الفتوح كتابه "فضائل الصحابة والدفاع عن كرامتهم وبيان خطر مبغضيهم والطاعنين فيهم" بهذه القولة، وهذا الحكم العام، فاعجب من هذا الصنيع إذا قارنته بما قال في تقديمه لكتاب عزنان زحار !؟

الموضوعات الملفقة، والأكاذيب المختلقة في فضائل علي وآل بيته، وذم أعدائهم، فعلى الرأس والعين، وناهيك من رجل أساء الظن بآلاف الرواة من الصحابة والتابعين لأنهم من أهل الشام الذي كان شؤما على الإسلام والمسلمين (في زعمه)، وقد ائتمروا بأوامر معاوية الطاغية فوضعوا الأحاديث في فضل الشام وأهله، وقد فضحه الله وعرّاه، فرجع عن رأيه لإكرام صوفية سورية له واحتفالهم به !! وقد سبقت كلمته في تصحيح "نهج البلاغة" لروحانية أسلوبه ؟! وحثني مرة على اقتناء شرح ابن أبي الحديد الرافضي المعتزلي على النهج، قال : إنه مصدر جد مهم لمعرفة فضائل آل البيت ومناقب علي والحسنين، ولما اشتريت الكتاب وكان يومئذ نادرا بثمن غال، وعكفت عليه، وجدت فيه ما أدهشني من مثالب الصحابة والخوض بالباطل فيما شجر بينهم، وسب ابن عباس، وعمر بن عبد العزيز، إلى نصرة الاعتزال والدعوة إليه، فراجعت أبا البيض في هذه المصائب فأجابني بأنه لا يصح إلا كتاب الله[1]، وقد مر بك إطراؤه كتاب (النصائح الكافية، لمن يتولى معاوية) ووصيته لذنبه الأجرب أن يبثه في الناس ويدعو إليه بجد، وأشاد مرة في رسالة إلي بكتاب لابن مطهر الحلي الرافضي المعتزلي الخبيث صاحب (منهاج الكرامة) الذي أقبره شيخ الإسلام ابن تيمية رضي الله عنه ب (منهاج السنة)، يسمى : (الأَلْفَيْن، الفارقة بين الشك والمِيْن)، قال والعهدة عليه : إنه ذكر فيه ألف دليل لإثبات إمامة علي، وألف دليل لإبطال مذهب الأشاعرة[2]، وأشهد لله ثم للتاريخ : إنني ما سمعت أبا البيض وما رأيت في كتبه ردا صريحا أو حملة علمية على الشيعة والروافض مع أن كفرهم وإلحادهم فاق إلحاد اليهود والنصارى والمجوس ؛ بل بالعكس إنه روى عن نحو خمسة أو ستة من طواغيتهم ترى تراجمهم

[1] انظر الجواب المفيد 83 .

[2] انظر جؤنة العطار 101/2 .

وثناءه عليهم في فهرسته الكبرى، المسماة (البحر العميق) . نسأل الله العافية، وأن يقينا شر أنفسنا، ويطهر قلوبنا من غل المؤمنين من عباده .

وهذا نص مهم جامع مانع لأحد أئمتهم ومجتهديهم الملقب عندهم بالثقة الأوحد، نعمة الله الجزائري، أورده في كتابه المعتمد عندهم (الأنوار النعمانية)، ونصه : إنهم (أي أهل السنة) يقولون : إن ربهم هو الذي كان محمد صلى الله عليه وآله وسلم نبيه، وخليفته بعده أبو بكر، ونحن لا نقول بهذا الرب، ولا بذلك النبي، بل نقول : إن الرب الذي خليفة نبيه أبو بكر، ليس ربنا، ولا ذلك النبي نبينا[1] ؟!! وهذا نص غني عن التعليق، نسأل الله العافية .

[1] الأنوار النعمانية 278/2 .

الفصل الخامس عشر

قوله بوصية علي رضي الله عنه بالمفهوم الشيعي، وتقديمه على إخوانه الخلفاء الراشدين الثلاثة

لم أكن –علم الله– أتوقع من أبي البيض أن يُفضي به الضلال والغلو إلى الاعتقاد بالوصية بالمفهوم الشيعي، إلى أن وقفت على تصريحه بها في مواضع من "جؤنته" وغيرها، ووَصْفِ علي رضي الله عنه بناءً عليها بالوصي، لأنها من خصائص مذهب الشيعة الروافض التي بنوا عليها القول بالإمامة، وأنها الركن الأول في الإسلام بعد كلمة الإخلاص، وأبو البيض يغض الطرف عمداً عما يترتب على القول بالوصية من رمي الخلفاء الراشدين الثلاثة بالغصب والتعدي والظلم، ومن ورائهم سائر الصحابة رضي الله عنهم الذين بايعوا الثلاثة وأجمعوا على خلافتهم، وقد قال سفيان الثوري رحمه الله كلمته العجيبة في الموضوع، وقد أشرت إليها قبل، وهي : من قدم عليا على إخوته الخلفاء فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار، وأي زراية أسوأ من اتهام أفضل الأمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالعدوان والظلم .

والقول بالوصية هو منطلق الروافض قديما وحديثا لسب الشيخين وسائر الصحابة لاغتصابهم الخلافة من علي، وإظهار البراءة منهم وتكفيرهم، واعتقاد أن عليا سيرجع إلى الدنيا قبل يوم القيامة هو وآل بيته للانتقام من أبي بكر وعمر وسائر الصحابة في تمثيلية مزرية بالعقول، وليس الشأن في اعتقادهم هذا فقد اعتقدوا ما هو أفحش وأعرق في الضلال والخبال من أمر مهديِّهم القائم !! ودخوله السرداب منذ ألف ومائتي عام تقريبا، ومناداتهم له بالخروج وهتافهم بالدعاء له بكرة وعشيا بالفرج ! وإنما الشأن في أمر أبي البيض وإخوته في

اعتقادهم الوصية وهم يعلمون تاريخها، ويعلمون أن عليا رضي الله عنه بايع الخلفاء قبله، وأعلن أن أفضل الخلق بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم أبو بكر وعمر، وقد ذكر مؤرخو الملل والنحل أن أول من أتى بفكرة الوصية هو عبد الله بن سبأ اليهودي اليمني المكنى بابن السوداء، وإليك نصين مهمين في الموضوع من عالمين جليلين في علم الفِرَق، لا يحوم حولهما الشك :

قال الشهرستاني في "الملل والنحل" : السبئية أصحاب عبد الله بن سبأ؛ الذي قال لعلي كرم الله وجهه: أنت أنت يعني: أنت الإله؛ فنفاه إلى المدائن. زعموا: أنه كان يهودياً فأسلم؛ وكان في اليهودية يقول في يوشع بن نون وصي موسى عليهما السلام مثل ما قال في علي رضي الله عنه . وهو أول من أظهر القول بالنص بإمامة علي رضي الله عنه. ومنه انشعبت أصناف الغلاة[1] .

وقال عبد القاهر البغدادي عن ابن سبأ في كتابه "الفَرْق بين الفِرَق" : كان ابن السوداء في الأصل يهوديا من أهل الحيرة، فأظهر الإسلام، وأراد أن يكون له عند أهل الكوفة سوق ورياسة، فذكر لهم أنه وجد في التوراة : إن لكل نبي وصيا، وإن عليا وصي محمد، وإنه خير الأوصياء كما أن محمدا خير الأنبياء[2].

قلت : ونصوص مؤرخي الفِرَق والنِحَل حول ابن سبأ وفرقته (السبئية) وما تفرق عنها من فِرَق وأفكار، كثيرة جدا حتى من كتب الروافض، وقد جمع الأخ الشيخ سلمان العودة جزءًا جد مفيد في الموضوع وهو مطبوع[3]، وكان ردا غير

---

[1] الملل والنحل 174 .

[2] الفرق بين الفرق 235 .

[3] تحت عنوان : عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام . صدر عن دار طيبة بالرياض .

مباشر على مرتضى العسكري من غلاة الروافض المعاصرين الذي أنكر الوجود التاريخي لابن سبأ وجماعة معه، في كتاب مطبوع، وقبله أنكر بعضهم وجود الوزير ابن العلقمي الرافضي الذي تسبب مع النصير الطوسي في أفجع كارثة حلت بالمسلمين السنة ببغداد على يد المغول المتوحشين في القرن السابع، وقد تجددت المأساة اليوم على يد روافض إيران والعراق معززين بالصليبية العالمية متمثلة في أمريكا وحلفائها والأكراد، في مؤامرة مكشوفة لاستئصال الوجود العربي السني من العراق عموماً، وبغداد وما حولها خصوصاً، ومنذ أربع سنوات والمجازر ترتكب ليلا ونهارا، والمساجد تحرق وتدمّر، والعلماء والأئمة يقتلون علنا نهارا، والعامة يُهجَّرون ليحل محلّهم الروافض المستقدمون من إيران، والعرب السنة لا ناصر لهم إلاّ الله (ولينصرن الله من ينصره، إن الله لقوي عزيز) .

الفصل السادس عشر

قوله باستحباب اتخاذ القبور مساجد، وغُلُوُّه في ذلك حتى زعم أن الصلاة في الزاوية المقبورة أفضل من غيرها

هذه موبقة ظاهرة من تواتر لعن فاعلها، ووَصْفِه بالتشبه باليهود والنصارى في ذلك، وأنه من شرار الخلق، وقد وفقني الله تعالى، وله الحمد والمنة منذ سنوات إلى جمع واحد وأربعين حديثا في النهي عن البناء على القبور، واتخاذها مساجد، وبطلان الصلاة فيها، وآثار أربعة عن الصحابة رضي الله عنهم مع مقدمة وخاتمة واعيين في الرد على أبي البيض وشقيقه عبد الله لجرأتهما على الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، ومحاولتهما رد هذه الأحاديث المتواترة تواترا معنويا بمحض الهوى والجهل، وليتهما سكتا وكعا عن العبث والتلاعب بالشرع والدين في سبيل نصرة الزاوية، وبيع القبور فيها، ولكنهما أبيا إلا الإلحاد والجحود، فألف الأول "أبو البيض" منذ عقود من السنين جزءًا طُبع بمصر بعنوان : "إحياء المقبور، بأدلة استحباب بناء المساجد والقباب على القبور"، فلم يكتف بالجواز ؛ بل حكم باستحباب وسائل الوثنية وعبادة غير الله، وقد ذكر في أثناء الكتاب ما يدل على أنه لم يكن يعرف توحيد العبادة والتوجه والقصد والدعاء، كسائر أهل بيته الذين يكتفون بتوحيد الربوبية، وبه يفسرون كلمة الإخلاص، ولا يرون بأسا من دعاء الأموات، والتمسح بالأضرحة، والذبح لها، ومناداة أهلها والاستغاثة بهم في الشدائد والأهوال، وأن هذا كله لا ينافي التوحيد ما دام صاحبه يعتقد أن الله تعالى واحد وأنه الخالق الرازق المدبر، وهذا توحيد سلفهم المشركين كما قصه الله عنهم في غير ما آية من كتابه العزيز، ولم يستح أبو البيض أن يعد من كرامات جده أحمد بن عبد المؤمن كما في كتابه (المؤذن) أنه أمر مَريداً فاسياً استدعاه

للدخول في طريقته فأجاب بشروط منها : أن يُغيثه إذا نزلت به شدة، فوعده الشيخ بذلك طمعا في جيبه، وأمره إذا حلت به نائبة أن يتوجه نحو قرية (تجكان) بقبيلة بني منصور، وينادیه : (أسيدي أحمد، أسبع الأصفر، أمول اللحية الطويلة : غيثني)، أو نحو ذلك، وليراجع الكتاب[1] ففيه من مصائب القوم أكثر من هذا، وقد ذكر أبو البيض في أول رسالته "إحياء المقبور" أن حديث أبي الهياج الأسدي أنه قال : قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه : ألا أبعثك على ما بعثني عليه خليلي صلى الله عليه وآله وسلم، اذهب فلا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته، رواه مسلم في الجنائز[2]، قال عن هذا الحديث الصحيح : إنه متروك الظاهر ومؤول، وأخذ في تأويله ومحاولة طمس معالمه بما حسبه دلائل، وهي في الواقع لا ترقى إلى الشبه[3]، ونظرة واحدة من مؤمن منصف كافية بإقناعه بأن الحق واحد لا يتعدد، وأن ما تواتر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يمكن دفعه إلا بالإلحاد والجحود، ولما كان أبو البيض يحاول دائما أن يأتي بجديد، وأن لا يقتصر على المعروف عند الناس، فقد أوحى إليه الشيطان أن يأتي بفاقرة حالقة للدين والإيمان الحق، وهي زعمه أن الصلاة بالمساجد الخالية من القبور ليست كالصلاة في الزوايا والمقابر لفقدانها التأسي بالمسجد النبوي في الصورة، وهو يعلم –عامله الله بما يستحق– أن إدخال القبر المقدس لمسجد، كان لسبب سياسي، وعلى يد بني أمية الذين يتقرب إلى الله تعالى ببغضهم ولعنهم، ولكنهم لما وافقوا هواه، أقر فعلهم وجعله قربة وعبادة يُقتدى بها، فانظر كيف يفعل الهوى والضلال بأهله، عياذا بالله، وقد رأيته يختار في رسالة إلى أبي الفتوح مذهب الإمام مالك

[1] المؤذن 39 .

[2] صحيح مسلم رقم : 1609 .

[3] انظر إحياء المقبور 57 . ط دار لوران – الإسكندرية .

رحمه الله في تأويل النهي عن الجلوس على القبور[1]، بأنه الجلوس للتغوط لا غير، ولا أدري ما يفعل بحديث الوَطْء (لأن يطأ الرجل على جمرة ..)[2] والوطء يكون بالأقدام، فهل جعل الأقدام تتغوط كالأدبار !! .

وكنت سألته مباشرة عن تناقضه في رسالته "الاستنفار للتشبه بالكفار" حيث عقد باباً في تحريم اتخاذ المساجد على القبور لعلة التشبه بالكفار[3]، فتردد واضطرب، وأشار إلى أن المدار على القصد والنية، فكان عذرا أقبح من الزلة كما يقال، ولعل ظهور البطلان فيما ذهب إليه هو الذي حذا بأبي الفتوح إلى مخالفته في هذه المسألة، وليته نهج هذا المنهج السليم في سائر موبقاته، وفيها ما هو أبشع وأفظع، ولكنها الزاوية والطريقة والحفاظ على طقوسها الوثنية، وصدق الله العظيم : (إنك لا تهدي من أحببت، ولكن الله يهدي من يشاء) .

[1] رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رقم : 1612 .

[2] رواه أبو نعيم في حلية الأولياء 250/3 .

[3] وأورد فيه حديث أبي الهياج الأسدي . انظر الاستنفار بتهذيب عبد الله التليدي 40-41 .

الفصل السابع عشر

استحبابه الرقص اليهودي أثناء ما يسمونه : الذكر والحضرة والعمارة، والتي تنشد أثناءها أشعار الاتحاد والحلول والوحدة على نغمات المزامير ونقر الطبول، وبأصوات المُردان، واستحبابه لسجود المريدين له، لتقبيل قدميه، وهي فاقرة موروثة عن مشايخ الطرق، مع حمل السبحة الوثنية في الأعناق

استحباب أبي البيض للرقص المسمى بالمغرب (العمارة)، وهو عام في الطرق الصوفية بالمغرب وغيره إلا الطريقة الناصرية، فإني لا أعرفهم يرقصون، وأبلغهم في باب الرقص، وهم أهل طريقة (دَرْقاوة) أتباع العربي الدرقاوي، وهم شعب وطرائق، وقد اتفقت كلمة المؤرخين المحققين أن هذا الرقص من طقوس اليهودية إلى الآن، فقد ألف دكتور عراقي كتابا كبيراً في اليهود (الحَسِديمْ) وذكر من أعمالهم الدينية الرقص والسماع، وأتى بنصوص من التوراة وغيرها على ذلك، والطريف أنه نشر صورا لأحبار اليهود (الحَسِديمْ) وهم يرقصون متحلقين بلحاهم وظفائرهم آخذين بيد بعضهم، وفيهم من يغني لهم بأشعارهم، وهذا يؤكد ما ذهب إليه الإمام القرطبي في تفسير سورة طه من كتابه "الجامع لأحكام القرآن" في قصة السامري، وأنه اتخذ لهم عجلا جسدا له خوار قاموا يرقصون حوله تعبداً وشكراً، ونقل هناك تصريحا لأبي بكر الطرطوشي أن الرقص من دين اليهود، وقد ألف كثير من العلماء رسائل في الرد على الصوفية الرقصة، وأن الرقص غريب عن الإسلام، وبالتالي فإنه حرام لا يجوز بحال لأنه تشبه باليهود فيما هو خاص بدينهم، منهم صاحب "الرهص والوقص لمستحل الرقص" لبرهان الدين الحلبي، ومحمد المنبجي في رسالته، وهما مطبوعان .

و كذلك السبحة ثبت في البحث التاريخي أن أصلها وثني، وما زالت إلى الآن من شعار البوذيين والبراهمة والنصارى، ونحن نراهم متقلدينها وفي أيديهم في الفضائيات، وقد أجاد العلامة المحقق بكر عبد الله أبو زيد القضاعي في رسالته الماتعة (السُّبحة) فذكر تاريخها وإشكالها وكيف دخلت على المسلمين، وغلا فيها الصوفية المتأخرون حتى جعلوها شعار الذكر، وألف فتح الله بناني الرباطي (شيخ أبي البيض) كتابا فيها سماه "تحفة أهل الفتوحات والأذواق، في اتخاذ السبحة وجعلها في الأعناق" أتى فيه من أنواع الخرافات والدجل، ما يشي بأن الرجل يكيد للإسلام، ويحارب السنة، وقد شاهدت مراراً أبا البيض يرقص في زاويتهم بطنجة على نغمات المزامير، وأناشيد المسمعين، وهي كلها تدور على أشعار عمر بن الفارض وأبي الحسن الششتَري ومحمد الحراق ونحوهم، وهي السمّ الزّعاف لحمتها وسداها : وحدة الوجود، والاتحاد، والحلول، والدعوة إلى ذلك، كما شاهدت مثل ذلك في زاوية الحراق بتطوان، وبين الفينة والأخرى يتهافت أحدهم على رجلي الشيخ يقبلها ويُمَرّغ خديْه عليهما، وقد يمكث ساجداً عليهما مدة ؛ بل رأيت بعضهم يُقبل مجلس الشيخ ويبكي بحُرقة في غيبته، ومن الجدير بالذكر أن إمام العارفين الكبريت الأحمر، والشيخ الأكبر، قدوة أبي البيض وإخوته وقبيله : محمد بن علي ابن العربي الحاتمي المرسي، ذكر في كتابه "رسالة القدس" وهي مطبوعة بدمشق قديما قصة مُفادها باختصار : أنه حضر حفلاً للصوفية في دار أحدهم بإشبيلية بالأندلس، وكان جالسا بجنبه رجل أعمى من الأولياء عنده، وأن الفقراء جلسوا في حلقة يذكرون ويتناشدون الأشعار، فقال له الأعمى : ها الشيطان الساعة دخل من الباب في صورة عنز، وأنه أخذ يدنو من الفقراء ويشمهم وينتقل، ويصف الولي الأعمى الفقير وشكله ولباسه، وابن العربي يعجب من قوله لصدقه، إلى أن وصل إلى فقير وصفه الأعمى، وأطال الشيطان الوقوف

عنده وشمّه، ثم قال : ها هو نطحه، فبمجرد ما قال ذلك، صاح الفقير وتواجد وقام يرقص . وقد أشار إلى ذلك أبو العباس أحمد زروق في كتابه "عُدة المريد الصادق" وهو مطبوع، وكنت أحتج على الصوفية بهذه القصة، وردّ الشيخ زروق لبدعة الرقص[1]، وهما من أقطاب الصوفية وكبارهم، فلم أجد عندهم ما يردون إلا قولهم : (إنا وجدنا آباءنا كذلك يفعلون) . وسمعت صوفيا يروي بسنده إلى الشيخ محمد الحراق أنه سُئل عن الرقص، وكان شديد الولع به، فقال : هذا شيء أوصانا عليه أشياخنا، لا نتركه ولو طارت عليه أمخاخنا . وقد سبق النقل عن الشيخ الزمزمي في كتابه (الزاوية) روايته عن شقيقه أبي البيض أنه رقص وتواجد بالزاوية حتى خلع جلابته (و هي لا تساوي بصلة على حد تعبير الشيخ محمد الزمزمي)، فبيعت بالدلالة بخمسمائة ريال فضي، اشترى بها أبو البيض دُويرتين .

و هذا البلاء قديم، فقد رأيت الضياء المقدسي صاحب (الأحاديث المختارة) وهو من أهل القرن السادس والسابع عقد في رسالته النافعة "اتباع السنن واجتناب البدع" وهي مطبوعة باباً لما يكره من الرقص ونحوه، أورد فيه آثاراً وأخباراً منها ما هو مشهور كقول الشافعي رحمه الله : (تركت بالعراق شيئا يسمونه : التغبير، وضعته الزنادقة، يشغلون به الناس عن القرآن) . والتغبير تهليل وترجيع صوت، وهو : السماع . وقد سئل الإمام أحمد عنه وقيل له : إنه يرق عليه القلب؟ فقال : هو بدعة . وروى الضياء عن أبي الحارث الأولاسي أنه قال : رأيت إبليس في

[1] قال زروق رحمه الله : فصل في السماع والاجتماع : وهو ما تسرع إليه نفوس الجاهلين، وتولع به قلوب الغافلين، وتؤثره توجهات البطالين، وينتفع به ضعفاء المشرفين، وتقف معه حقائق المجانين، وترتاح إليه أكباد المفتونين .... ونقل عن أبي الحسن الشاذلي أنه قال : "سألت أستاذي رحمه الله عن السماع، فأجابني بقوله تعالى : (**إنهم ألفوا آباءهم ضالين، فهم على آثارهم يهرعون**) . الشيخ أحمد زروق وآراؤه الإصلاحية . تحقيق ودراسة لكتابه "عدة المريد الصادق" . إدريس العزوزي . 536-539 .

النوم بأولاس، وهو جالس، وعن يمينه جماعة، فقال إبليس لطائفة منهم : قولوا شيئا –و كانوا على شيء من السماع– فأخذوا في القول، قال أبو الحارث : فاستغرقتني الغيبة حتى لعلي كدت أطوّح نفسي من السطح، ثم اِلتفت إلى طائفة أخرى فقال لهم : ارقصوا فرأيتهم يرقصون ويشيرون في الرقص إلي إشارات حسنة ويزعقون ويصيحون حتى تحيرت، ثم قال لي إبليس : يا أبا الحارث، أليس هذا حسنا ؟ قلت : بلى، قال : ما أصبت شيئا أدخل عليكم به ليكون لي عليكم سلطان إلا هذا، فخرجتْ شهوة السماع من قلبي، فما سمعت بعدها، ثم أورد الضياء رحمه الله أشعارا في ذم الصوفية ورقصهم، ومنها قصيدتان رأيت إثباتهما لما فيهما من صادق الوصف حتى كأنه يصف صوفية العصر، وهما للرجل الصالح أبي العباس أحمد ابن الجاجة رحمه الله قال في الأولى، وهي بائية من البسيط :

يا سائلي عن طريق الفضل والأدب ... عن معشر فعلهم أدى إلى العطب

قوم إلى راحة استأنسوا ونأوا ... عن التكسب بين الناس والتعب

قالوا بلا سبب : الله رازقنا ... والله رازقنا بالسعي والسبب

ألـيس مريم رب العرش قال لها : ... هُزي إليك بجذع يانع الرطب

و لو يشاء أتاها رزقها رغداً ... من غير ما تعب منها ولا نصب

و كان رزق رسول الله جاعله ... رب البرية تحت القعص والقُضُب

و باكـــروا اللهـــو واللـــذات، واتخـــذوا لهــو الحــديث لهــم دينــا مــع الطــرب

إذا مـــا أتـــوا منـــزلا قـــالوا لصـــاحبه : قَبِّـــلْ يـــد الشـــيخ ذي الإكـــرام والأدب

هـــذا لـــه نظـــرٌ، هـــذا لـــه همـــمٌ لــه الكرامــات بــين العجــم والعــرب

يمشـــي علـــى المـــاء يطـــوي الأرض قاطبـــــــــــــــــــــــــــــة وفـــاتح كـــل باب مغلـــق أَشِـــبِ

اطلـــب رضـــا الشـــيخ وانظـــر أيـــن مذهبـــــــــــــــــــــــــــــه ولـــيس مذهبـــه إلا إلى الـــذهب

هـــذا وقـــد جـــاء بالمعلـــوم فابتـــدروا مُحسِّــرين عــن الأيــدي علــى الركــب

كـــل امـــرئ مـــنهم في الأكـــل معضـــلة ومرجــف الأرض يــوم الــروع بالهــرب

إذا تغـــنى مغنـــيهمْ سمعـــت لهـــمْ صــراخ قــوم رُمــوا بالويــل والحَــرَبِ

مـــا زال لـــيلهمُ رقصـــاً فـــإن تعبـــوا تطـــارحوا في زوايا البيـــت كالخُشُـــبِ

ضـــــرب القضـــــيب مـــــدى الأيام والــرقص دأبهــم والضــرب في القــرب شـــــــــــــــــــــــــــــــغلهم

قــالوا : لنــا مــذهب، وهْــو الحقيقــة لا نقــول بالشــرع ثم الــدرس في الكتــب

و لا نريـــد مـــن الـــرحمن جنتـــه ولا نخـــاف لظـــى جـــاءت علـــى غضـــــــــــــــــــــــــــــــب

فهـــل بهـــذا كتـــاب الله أخـــبرنا ؟ وجـــاءت الرســـل بالترغيـــب والرهـــب ؟

زاروا النســـاء وواخَـــوْهُنّ هـــل عُصِـــموا مـــنهن أم أمنـــوا مـــن طـــارق النُّـــوَبِ

نســـوا قضـــية هـــاروت وصـــاحبه مـــاروت إذ شـــربا كأســـا مـــن العطـــب

و هـــمّ يوســـف لـــولا أن رأى عجبـــا بُرهـــان خالقـــه فاعجـــب مـــن العجـــــــــــــــــــــــــــــــب

و نظـــــرة تركـــــت داود ذا حُـــــرقٍ علـــى خطيئتـــه باكٍ أخـــا كُـــرَبِ

أبْـــرا إلى الله مـــن قـــوم فعـــالهمُ هـــذا وعـــن ذمهـــم –مـــا عشـــتُ–لم أَتُـــــــــــــــــــــــــــــــبِ

و له أيضا رحمه الله :

يا ســـالكي ســـبل العـــدوان والـــتُّهَمِ وتابعـــــي نِعـــــم الـــــرحمن بالـــــنِّقَمِ

و تاركـــي ســـبل المعـــروف عافيـــة وآخـــذي طـــرق الخـــذلان والنـــدم

ألبســـتمُ الـــدين عـــاراً مـــن فعـــالكمُ مـــا لـــيس يحســـن مـــن عُـــرْب ومـــن عجـــم

سميـــتم الـــدين مـــن لهـــو ومـــن لعـــب دينـــاً وقُـــرْبى إلى الـــرحمن ذي الكَـــرَمِ

يا مشـــبهي حُمُـــر الصـــحراء رامحـــة لمـــا تملـــت مـــن الخضـــراء والـــدِّيَمِ

هـــل كـــان فيمـــا مضـــى مـــن فعـــل ســـيدكم ضـــــرب القضـــــيب ورفـــــس الأرض بالقـــدم

كـــلا ومـــن نظـــر الأشـــياء مقتـــدرا إلا الصـــيام وحـــجّ البيـــت ذي الحـــرم

ثم الصـــــلاة وإيتـــــاء الزكـــــاة معـــــا ثم القيـــــام لـــــرب العـــــرش في الظُّلَـــــمِ

ثم الجهـــــاد وتعلـــــيم الفـــــروض ومـــــا يحتاجـــه النـــاس مـــن فعـــل ومـــن كلـــم

أجعلـــتمُ قصـــة الحُبْشـــان حُجـــتكمْ ولم تَعُوجـــوا علـــى الأحكـــام والحِكَـــمِ

هـــلا اعتـــبرتم بمـــا سَمَتْـــه أمكـــمُ إن كنـــتم مـــن بنيهـــا يا أولي الـــتهم

و لم يكـــنْ فعلهـــم شـــبْهاً لفِعْلِكُـــمُ لكـــــنكم زدتمُ بالأكـــــل والبشـــــم

جعلتمـــوه لأكـــل الخبـــز مصـــيدة وللفســـاد مـــع الأشـــرار والخـــدم

جعلـــتمُ الشـــيخ هـــاديكمْ فقـــادكمُ إلى الضـــلال وكنـــتمْ مـــن أولي الـــبكم

الفصل الثامن عشر

احتجاجه بالأحاديث الموضوعة والواهية مع معرفته بها، و قد استكثر من ذلك في كثير من مؤلفاته

ذلك أن الرجل –أبا البيض– يغلبه هواه، فيذكر ما تيسر عنده لدعم رأيه أو بدعته، بقطع النظر عن رواية الحديث ودرجته، ولا يكلف نفسه بحثا ولا مراجعة، وربما تناقض في ذلك فيوهن ما يحسنه أو يضعفه، ويوقعه في هذا حب الاستكثار، واغتنام الوقت في التأليف ولو على حساب الحق .

و أمر آخر وهو أن أبا البيض، أصَّل أصلا عجيبا انفرد به بين العلماء، وقد شافهني به حينما سألته عن إيراده الأحاديث الموضوعة في كتابه "مطابقة

الاختراعات العصرية" فقال لي : هذه الأحاديث لا تحتاج إلى أسانيد ولا نقد، لأنها مطابقة للواقع، والواقع يشهد لها، وتابعه على هذا الصنيع شقيقه عبد العزيز في "الأربعون العزيزية[1]"، وعهْدي بالشيخ أبي البيض يستنكر صنيع المحدثين القدامى في روايتهم الأحاديث والآثار، أو إيرادهم إياها في مصنفاتهم بالأسانيد، وسكوتهم عليها، وقالوا في الاعتذار عنهم : (من أسند لك فقد أحالك)، وهذا غير مسلم[2]، وإن جرى به عملهم، لأن الأمر يتعلق بصميم الدين والعقيدة، وهو النقل عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم والحكاية عنه، وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم : "إن كذباً عليَّ ليس ككذب على أحد، ومن كذب عليَّ فليلج النار[3]"، وفي رواية مسلم : "فليتبوأ مقعده من النار[4]"، وقد تواتر هذا اللفظ : "من كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار" .

والحديث الفصل في هذا الباب الذي سدّ الأبواب والمنافذ ؛ إلا على من لا يخشى الله تعالى، هو قوله عليه الصلاة والسلام : "من حدث عني بحديث يُرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين" رواه مسلم[5]، لا سيما على رواية (يُرى) بالبناء للمجهول، ومن شأن هذا أن يقلق راحة المؤمن، ويقض مضجعه فلا يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا بما يتيقن أنه صحيح، ولكن الأمر –مع الأسف الشديد– بخلاف ذلك فلا تكاد تجد من يتحرى في التحديث إلا الفرد بعد الفرد، وقد كانوا يتهيبون الحكم على الحديث بالضعف، أفلا يتهيبون الحديث

[1] الأربعين العزيزية فيما أخبر به النبي صلوات الله عليه من أحوال الوقت . الفائدة الخامسة . 24 .
[2] وانظر جؤنة العطار 8/2 .
[3] رواه البخاري رقم : 103 .
[4] صحيح مسلم رقم : 5 .
[5] صحيح مسلم رقم : 1 .

عنه عليه الصلاة والسلام بما يجدون !؟ ثم إن آفة أبي البيض أنه كان يعتمد على ذاكرته ومحفوظه، فيذكر ما يجد، فيقع في أخطاء في العزو والألفاظ، وكان يعيب ذلك على شيخ الإسلام ابن تيمية، ولكن الفرق بين الرجلين أن ابن تيمية أحفظ بمراحل، وهو يتحرى فلا يحتج بحديث واه أو موضوع ويسكت عنه وهو يعلم، بخلاف أبي البيض فحسبه نصرة هواه، وقد ذكر الأخ مصطفى باحّو السفياني في "تنبيه القاري" أكثر من ثلاثين حديثا احتج بها أبو البيض وهي موضوعة لا تخفى عليه، فوقع تحت طائلة الحديث الصحيح السابق "من حدث عني بحديث يُرى أنه كذب، فهو أحد الكاذبين"، نعوذ بالله تعالى من هول البلاء، ونسأله الصون والحفظ .

و هذه أحاديث احتج بها أبو البيض لم يذكرها السفياني، ولم أستقص، وفيها ما حاول أبو البيض تصحيحه عبثا :

1– حديث خلقت أنا وعلي من نور واحد، أورده في "البرهان الجلي" وسلّمه بالسكوت، وإن أشار إلى أن الخطيب أخرجه بسند من طريق أهل البيت بلفظ : من طينة واحدة، وهو موضوع.

2– حديث : أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد العلم فليأت الباب . وقد ألف أبو البيض جزءاً في تصحيحه طبع بمصر أيام شبابه واتصاله بالزيدية، وقد أصّل فيه أصولا لا تعرف عند المحدثين منها تعديل المجروحين، والتحمس للرواية عن الشيعة، وقد جرأه على ذلك شيخه ابن عقيل الرافضي صاحب "العتب الجميل على أهل الجرح والتعديل"، ومنهج أبي البيض تصحيح الحديث بكثرة الطرق، وإن كانت كلها مدخولة، وكثرتها والحالة هذه لا تزيد الحديث إلا وهنا،

وليراجع كلام العلامة الناقد بحق عبد الرحمن المعَلِّمي في تعليقه على "الفوائد المجموعة" للشوكاني حول هذا الحديث لمعرفة رتبته، وأنه موضوع .

3- حديث : من عشق فعف فكتم فمات فهو شهيد، ألف أبو البيض جزءا في تصحيحه أيضا ردا على ابن تيمية وابن القيم سماه "درء الضعف"، وقد طبع بتحقيق إياد الغوج بدمشق، وقد ناقشه المحقق بحق، وإن صبغ منهجه بصبغة كوثرية قد لا تحمد أحيانا، وانتهى إلى ضعف الحديث، وقال البقاعي بأنه صح موقوفا، وأبو البيض يشيد بمؤلفه هذا ويتباهى به ويحض على قراءته !

4- حديث الطير، وفيه : اللهم ائتني بأحب الخلق إليك يأكله معي، فجاء علي . وقد صححه أبو البيض وأشاد به، والعمدة في التصحيح عنده كثرة الطرق بغض النظر عن سلامتها وكثرة الاضطراب .

5- حديث رد الشمس لعلي، وهو كسابقه أفردت طرقه بالتأليف، وكلها معلة بعلل قادحة، وكلام ابن تيمية فيه في "منهاج السنة النبوية" قاطع للنزاع لأصالته رغم أنف أبي البيض .

6- حديث : المتمسك بسنتي عند فساد أمتي له أجر مائة شهيد . احتج به أبو البيض في أول كتابه "المثنوني والبتار"، وهو واه[1]، وحتى بلفظ : .. له أجر شهيد، ضعيف أيضا[2] .

[1] انظر السلسلة الضعيفة لشيخنا الألباني رقم : 326 .

[2] المرجع السابق رقم : 327 .

7– حديث : أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون . أمر أبو البيض بكتابته مع آيات وأحاديث في لوحات بخطوط مشرقية مزخرفة، وأثبتت فوق المنبر، وقد خرق تلك الألواح الشيخ الزمزمي بعد أن احتج به على مشروعية الرقص الصوفي في رسالته "الانتصار لطريق الصوفية الأخيار[1]" ثم تاب إلى الله تعالى، والحديث ضعيف، آفته : دراج أبو السمح كثير المناكير[2] .

8– حديث من سب عليا فقد سبني، ومن سبني فقد سب الله، ومن سب الله كفر[3] . وهذا منكر[4] .

9– ذكر في الجؤنة : قال ابن الفراء : أنبأنا المبارك –يعني : ابن عبد الجبار الصيرفي–، عن الحسن بن علي التميمي، أخبرنا أحمد بن جعفر بن حمدان، ثنا عبد الله بن أحمد، قال : حدثتني خديجة أم محمد وكانت تجيء إلى أبي وتسمع منه ويحدثها قالت : حدثنا إسحاق الأزرق، حدثنا المسعودي، عن عون بن عبد الله قال : كنا نجلس إلى أم الدرداء ونذكر الله عندها فقالوا : لعلنا أمللناك، قالت: تزعمون أنكم أمللتموني فقد طلبت العبادة في كل شيء فما وجدت شيئا أشفى لصدري، ولا أحرى أن أصيب به الذي أريد من مجالس الذكر . قال أبو البيض : وفي هذا الأثر دليل على اجتماع الرجال بالنساء في مجالس الذكر كما يفعله بعض الصوفية إذا أمتن الفتنة، وأن بمجالس الذكر تنشرح الصدور وتقضى الحوائج، وأن

[1] الانتصار 25 .
[2] انظر السلسلة الضعيفة رقم : 517 .
[3] جؤنة العطار 218/2 .
[4] انظر الضعيفة رقم : 2310 .

السلف الصالح وخير القرون وعصر الصحابة والتابعين كانوا يعقدون مجالس الذكر حتى مع النساء[1] .

قلت : انظر كيف بنى على أثر ضعيف[2] حكماً عاماً وألصقه بالسلف الصالح، اللهم هذا بهتان عظيم .

10- ذكر في الجؤنة أيضا : قال الزبير بن بكار : حدثنا محمد بن الحسن، عن عبد الله بن عمر بن محمد بن هيضم المزني عن أبيه عن جده أبي هيضم وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أشرف على طرف وسط البقيع فصلى فيه .

قال أبو البيض : وهذا دليل على أن النهي عن الصلاة في المقبرة معلل بخوف قصد الصلاة إليهم وإشراكهم في العبادة كما عليه القوم قبل الإسلام، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم بريء من ذلك، فلذلك صلى هو في وسط المقبرة، ولو كان النهي لذات المقبور لا للعلة المذكورة لما صلى النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فيها[3].

قلت : إذا ثبت العرش انتقش، الحديث موضوع فلا داعي للاستنباط والتعليل، فيه محمد ابن الحسن هو ابن زبالة المخزومي، قال يحيى بن معين : كذاب خبيث، ليس بثقة ولا مأمون، وهاه أبو زرعة وأبو حاتم، وزاد ذاهب الحديث

[1] جؤنة العطار الجزء الثالث . لطيفة رقم : 666 .

[2] فيه عبد الرحمن المسعودي اختلط بآخرة . وكم مرة أعل به أبو البيض، لكن هنا أعماه الهوى عن إبصار الحقيقة . أعاذنا الله من الخذلان .

[3] جؤنة العطار الجزء الثاني . فائدة : 494 .

ضعيف، وقال الدارقطني : متروك[1] . وهو يعلم هذا ومع ذلك احتج به، بدليل ما قاله في حصول التفريج : وأخرج أبو نعيم في مستخرجه لمحمد بن الحسن بن زبالة المخزومي وقد كذبه أبو داود[2] .. فنسأل الله عز وجل أن يعصمنا من داء الهوى، ويجنبنا مهاوي الردى .

و المقصود أن أمر أبي البيض في هذا الشأن غريب، فهو إن اختار حديثا لموافقته هواه صححه، وبذل جهده في ذلك، وربما ألف جزءاً فيه، وإن كان حديثا يخالف هواه رده وحكم بوضعه وإن كان في الصحيح بل متواتراً، كما فعل في أحاديث النهي عن اتخاذ القبور مساجد، فسبحان من أعمى بصيرته حتى ارتكس في هذه البلايا التي لا يسلم معها إيمان المرء، وهذا أكبر مؤلفاته في باب نقد الحديث المسمى "المداوي، لعلل السيوطي في جامعه وشرحيه للمناوي" وقد طبع بعد وفاته بمصر في ستة مجلدات كبيرة، من وقف عليه تيقن أنه إنما ألفه لسب المناوي وشتمه وتجهيله بحق وبدون حق، وقد أشار شقيق أبي البيض : عبد الله في أوله إلى أنه تصرف فيه بحذف ما بالغ فيه المؤلف من السب، ومع هذا فقد كتب على أول ورقة الجزء الأول الكلمة العوراء لعبد الله هذا في كتاب شقيقه وهي : من أراد معرفة صناعة الحديث فعليه بالمداوي .

والملاحظ أن هؤلاء الغماريين : أحمد، وعبد الله، وعبد العزيز، وعبد الحي، معجبون بعلمهم، ومعندون بأنفسهم ولا سيما إمامهم أبو البيض، فإنه كان يحث تلاميذه على قراءة كتبه ولا سيما "فتح الملك العلي" ويقول بأن الله من عليه بمنقبة، وهي أنه يُفتح على من تلمذ على كتبه، ويسمي شقيقه عبد العزيز الذي

[1] انظر تهذيب التهذيب 101/9 .

[2] حصول التفريج 101 .

تخرج على "فتح الملك العلي" والشيخ المنتصر الكتاني بأنه ما عرف الحديث إلا من طريق كتبه، ويُهيب بذنبه الأبتر عبد الله الكرفطي أن يعكف على "فتح الملك العلي"، و"درء الضعف"، فإنهما كفيلان بتخريجه محدثا بطنجة، والناس يعرفون مرتبة هؤلاء في الحديث، وفي المكاتب جزء[1] ألفه الألباني في انتقاد صنيع المنتصر الكتاني فيما اختاره من أحاديث لطلبة الجامعة السورية، وقد أبان به جهل الشيخ المنتصر بالحديث الذي أخذ علمه عن أبي البيض.

والمداوي وقفت عليه مخطوطا في حياة مؤلفه، وانتقدت عليه سكوته المتكرر عن عشرات الأحاديث، ولعلها مآت ينتقدها على المناوي من حيث العزو والخطأ فيه ونحو هذا، أما مرتبة الحديث التي هي المقصودة من التخريج والنقد، للعمل والتعبد، فلا يعيرها الشيخ أبو البيض اهتماماً، وكفى بهذا جهلا وضلالا، ولا يتسع الوقت لتتبع أخطاء كتابه "المداوي"، وهو واسع المجال، كثير الأوهام التي وقفت على بعضها بمجرد التصفح على قلة البضاعة، وعدم الدُّربة، وانعدام المساعد، وعسى الله أن يقيض لهذا الكتاب من يتقن نقده، ويبطل آيته التي طالما سمعنا نقيق الغماريين بها، والله يعلم المفسد من المصلح، ومن الجدير بالذكر أن شيخنا الألباني اطلع على بعض أجزاء المداوي وهو مريض مرض موته، وانتقد عليه كثيرا كما في أجزائه الأربعة الأخيرة من موسوعته الرائدة سلسلة الأحاديث الضعيفة .

[1] اسمه "نقد نصوص حديثية في الثقافة العامة" .

الفصل التاسع عشر

قوله بالبدعة الحسنة في الدّين، ونصرته لكثير من البدع أخذا بهذا المبدأ وإنكاره للقياس مطلقا

هذا الفصل يتضمن بائقتين :

– قول أبي البيض بالبدعة الحسنة في الدين أي في العقيدة والعبادات، ونصرته بالتالي لكثير منها .

– والبائقة الثانية : إنكاره للقياس .

أما انتصاره للقول بالبدعة الحسنة فلا يحتاج إلى استدلال، لأنه زاول ذلك عمره كله علنا، وهذه الزاوية والطريقة الصوفية واعتباره إياها من الدين، وأنها مقام الإحسان !؟ بل ونقل في "البرهان الجلي" عن جده لأمه أحمد ابن عجيبة أن جبريل عليه السلام نزل أولاً على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالشريعة، ثم نزل مرة ثانية عليه –عليه الصلاة والسلام– بالحقيقة[1]، وهكذا يكذبون على الله تعالى وملائكته ورسله دون خوف ولا وجل، وهذا القول ذكره ابن عجيبة في أوائل شرحه للحِكم كما سبق، وقد تبنى أبو البيض كأبيه وجده وسائر الطرق الصوفية الشاذلية بالمغرب وغيره جميع بدع الطرق من : الذكر جهراً بالشوارع والأسواق، والذكر بالإسم المفرد بعد الصلاة، ولا سيما ما يُسمى ب "الحُلل"، وهو ذكره بتمديد وتمطيط بليغ مع الألحان، وتنتهي للقيام للرقص، والتسول والتكفف الفاضح لحساب الشيخ والزاوية، مع الذكر جهراً في الأسواق، وما يسمى

[1] البرهان الجلي 64 .

"السياحة"، وهو خروجهم وحدهم أو مع مشايخهم إلى القبائل والقرى حيث يوجد المريدون لسلبهم أموالهم، ولا سيما قبل عيد الأضحى، فيرجع الشيخ بقطيع من الماشية، واستعمال السُّبح والتفنن في أشكالها وحملها في الأعناق، وفيها من السخف والشهرة ما يستعاذ بالله منه، ويلاحظ أن الغماريين لا يحملون السُّبح لا في أيديهم ولا في أعناقهم، وإنما يأمرون بها مَريدهم، ولعل في ذلك دسيسة، كالذكر جهراً في الأسواق، فإني لا أعرف أحدا منهم يفعل .

ومن الطرائف أن درقاويا كان بتطوان يصيح في الشوارع بالذكر ويمزجه بالشرك بذكر مولاي عبد السلام (مولى التشتة والمقامْ، والنسخة وعرفة كل عام)، وينهي ذكره بقوله : يا قوي يا معين الخ حتى لقب به، ولا حظنا عجباً وهو أنه إذا خرج من دكانه "بالخرازين" وشرع في الذكر اجتمع عليه الكلاب ينبحون مساوقة مع ذكره، وربما جاءه الأطفال وأخذوا بعصاه الغليظة فلقنهم الذكر بالاسم المفرد والرقص، وسألني مرة وأنا بالخرازين[1] عن هذه الظاهرة، وهي نباح الكلاب مع الذكر، فأجبته بأن هذا الذكر بالجهر في الشوارع بدعة لا تجوز، والملائكة لا تحضر مع الكلاب، فرد عليَّ بأنه سأل صهري الفقيه التجكاني[2] –و هو درقاوي جلْد وابن عمة أبي البيض– فأجابه بأن تلك الكلاب فقراء يذكرون الله معك ؟! وشكى إليه مرة إسكات البوليس له في الأحياء الجديدة ولا سيما في أبواب الإدارات، وتهديدهم له، فحثه على الذكر هناك وعدم المبالاة بتهديدهم، ولما أخبرني بذلك هذا المريد، قلت له : ارجع إلى الفقيه، واطلب منه أن يخرج معك للذكر في الأسواق وعلى أبواب الإدارات في الشارع الأوربي، فإذا فعل ذلك

[1] اسم حي بتطوان .

[2] مترجم في كتاب "إسعاف الإخوان الراغبين، بتراجم ثلة من علماء المغرب المعاصرين" لمحمد بن الفاطمي ابن الحاج السلمي . 253 .

خرجت معكم أنا أيضا، قل له هذا، وأنا أعلم أنه لن يفعل أبدا، وإنما يدفعون هؤلاء الأغمار لهذه الأعمال المبتدعة، والمزرية بالدين، ويقبعون هم بزواياهم يسخرون منهم، وقد حدثتني حماتي بواسطة ابنتها أن والدها الشيخ محمد ابن الصديق والد أبي البيض أمر عدداً من أعيان مريديه من أهل طنجة أن يقطعوا جلابيبهم من الوراء، ويرقعوا مكان القطع بقطع مغايرة، ويخرجوا بذلك، أمرهم بذلك وفعلوه إلا هو، تواضعا وقهرا للنفس وإهانة لها حتى يتم الانتصار عليها وتذليلها . وهناك الولاية والخصوصية زعموا .

وقبل هذا أمر البوزيدي وهو صوفي غماري عامي تلميذه أحمد ابن عجيبة وهو عالم أن يتسول بأبواب المساجد بتطوان، ولا سيما يوم الجمعة حيث يكثر المصلون وتزدحم المساجد، كما أمره أن يلبس المرقعة، ويكنس الشوارع قهرا للنفس وإذلالا لها، إلى غير ذلك من البدع القبيحة .

وقد ألف شقيق أبي البيض عبد الله رسالة في الانتصار للقول بالبدعة الحسنة في الدين، سماها : "إتقان الصنعة، في تحقيق معنى البدعة"، فتح الباب فيه على مصراعيه للمبتدعة، وهون من شأن البدع، وأجاز جل ما يفعله المتصوفة الدجالون، والطلبة المتأكلون من إقامة الليالي وقراءة القرآن بالأجر الخ، بدعوى أن هذه الأمور كلها تندرج تحت أصل عام، ألا وهو الذكر والتلاوة، كبرت كلمة تخرج من فيه إن يقول إلا كذبا

– أما مسألة إنكار أبي البيض للقياس فهي ثابتة عنه صرح بها في غير مناسبة[1]، ومن ذلك قوله في رسالة إلى أبي الفتوح دون تاريخ : ... وقوله تعالى : (فلا تضربوا لله الأمثال) يدل على منع القياس، كما قال ابن حزم، لأن الأمثال هي الأشباه كما شبه الكفار النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالساحر والشاعر، (و قال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحوراً، انظر كيف ضربوا لك الأمثال ..) والقياس هو تشبيه حكم بحكم ..

وقال في رسالة أخرى له دون تاريخ بعد أن أطال في إبطال التعليل، وما يسمى الآن مقاصد التشريع : هذا كله عندنا باطل لا أصل له، وتخمين مجرد، والعلة في التشريع لا يعرفها إلا الشارع، ما لم ينص عليها أو تكون لا خفاء بها، والقياس ومسالك العلة من ذلك النوع.

ولأبي البيض كلام طويل في إبطال القياس أورده تلميذه أبو الفتوح من كلامه في "در الغمام الرقيق"[2]، وهو طويل صريح في الإبطال والسخرية من القائسين، والرد على ابن حزم طريقته في إبطال القياس . والصواب أن ذلك ليس من القياس، وإنما هو من فحوى النص .

ولا نعلم اليوم من يقول بقول أبي البيض دون أن يعرفه إلا الشيخ مقبل الوادعي اليمني، فإنه يصرح بذلك في كتبه مراراً، والحق –إن شاء الله– أن القياس المستوفي للشروط واقع لا بد منه، ووقع اتفاق المحققين من علماء الأصول عليه إلا من شذ من الظاهرية ونحوهم، وقد اضطر ابن حزم رحمه الله على شدته في إنكار القياس والتعليل إلى ارتكابه بدعوى أنه فحوى النص لا القياس، فيكون الخلاف

[1] انظر جؤنة العطار 196/2، التي قال فيها : القياس باطل في كل شيء .

[2] در الغمام الرقيق 26 .

لفظيا، أما القياس الخفي مع استنباط العلة بتكلف وتمحل فهذا هو الجدير بالإنكار والرد، ومن الجدير بالذكر أن الناصح ابن الحنبلي رحمه الله ألف كتابا جيدا في "أقيسة النبي صلى الله عليه وآله وسلم" أبلغها إلى مائتي مسألة، استعمل فيها النبي صلى الله عليه وآله وسلم القياس الواضح، بحيث لو وقف عليه طالب الحق المنصف لجزم بصحة القياس ووقوعه في الفقه الإسلامي، والله الموفق .

الفصل العشرون

وقيعته في كثير من علماء الحديث، والسلف الصالح، ولا سيما شيخ الإسلام ابن تيمية وتلامذته وأنصاره، وتنفيره المسلمين من كتبهم، وأنها وحدها سبب الضلال !؟

إن أمر هذا الرجل –أبي البيض– لَجِدُّ غريب، فقد انفرد بين من عرفنا من العلماء قديما وحديثا بنفسية معقدة، وعقلية خرافية مضطربة، لا تستقر على حال، وهو في نقده للعلماء والرواة أسير هوى جامح، لا يكاد يسلم منه، فهو يتناول بنقده الجارح ونقمته الصارمة البلاد، والمذاهب، والطوائف والأفراد، خصوصا الشام ونجدا والمغرب، فلا تكاد تذكر هذه البلاد حتى تثور ثائرته، وربما فقد صوابه، فأعلن بالشتائم البليغة ضاربا ما ورد في فضائل الشام من الأحاديث الكثيرة عُرض الحائط زاعماً أنها كلها مختلقة مضطربة بأمر معاوية الكافر المنافق، وما ذاك إلا لأن الشام مباءة النواصب أعداء الله تعالى ورسوله وأهل بيته، وأن هذا العداء يجري في عروقهم، ويتخلل طبائعهم فلا يمكنهم الانفكاك عنه، وهو في كل هذا يغض الطرف عن المآت بل الآلاف من أهل العلم ورواة الحديث وأئمة الفقه، وفيهم من حفاظ الحديث والآثار من لا يأتي الزمان بمثلهم، كما يُعلم من كتب التراجم والطبقات، وهذا تاريخ ابن عساكر وهو يناهز المائة مجلد ضم جمهرة كبرى من الأحاديث المروية بأسانيد الشاميين بحيث لا توجد عند غيرهم، فهل نرمي بهذه الأحاديث والآثار ونجرح رواتها من زمن الصحابة إلى هلم جراً، لا لشيء إلا لأنهم نواصب أعداء آل البيت ومبغضو علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ومبغضوه منافقون كما في الحديث، ولا يستنكر في هذه الحال الحكم على الضمائر والنيات، والهوى غلاب كما قيل .

أما إذا بلغ الأمر إلى المقادسة سكان صالحية دمشق، وفيهم بنو قُدامة، وهم أساطين المذهب الحنبلي، وحفاظ الحديث ورواته، فإن أبا البيض سُرعان ما يكفهر جَوُّه، ويقيم صحوه، ويستوفز للوقيعة والنزال، فلا تسل عن الولوغ في الأعراض، لشفاء الغيظ وتحقيق الأغراض، ولا يعف الشيخ حتى عن الإمام الصابر المجاهد أحمد بن حنبل فقد رماه بالنصب والبلادة، وأنه يؤمن بالبعض ويكفر بالبعض .

و إذا دنا الزمان إلى القرن الثامن، وفيه أنبتت تربة الشام الخصبة المباركة : نجوم الهدى، ومصابيح الوجود، الذين حفظ الله بهم البلاد والعباد، وقاوموا ظلام الانحراف الكثيف المتمثل في التصوف الباطني الفلسفي الأجنبي عن الإسلام، وكان مَدَّ رواقه على العالم الإسلامي بسبب جهل الأمراء والعلماء ونفاقهم، فنبغ شيخ الإسلام، مفتي الأنام، ومصباح الظلام، أبو العباس أحمد ابن تيمية، وتلاميذه الأبرار، شيوخ الإسلام، والعلماء الأعلام : ابن القيم، والذهبي، والمزي، وابن كثير، وابن عبد الهادي، وغيرهم .

أما نجد فكان أبو البيض يجزم جزماً ما بعده جزم، أنها المراد بحديث امتناع النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الدعاء له، لأنه مصدر الزلازل والفتن، ومنه يطلع قرن الشيطان، وأن المراد بهذا القرن إمام الدعوة المجدد المجاهد محمد بن عبد الوهاب التميمي النجدي، فكان يطلق عليه وعلى أبنائه وأحفاده الكرام : القرنيين تقليداً لسلفه في هذا العدوان : يوسف النبهاني، ويضرب عُرض الحائط بما حققه العلماء بأن المراد بنجد العراق، لإشارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى ناحيته، وهذا كما يحكى عن العلامة الشيخ عبد اللطيف حفيد الشيخ ابن عبد الوهاب أن علماء الأزهر قالوا له –وهو منفي بمصر– يسخرون منه : مسيلمة الكذاب

المتنبي من عندكم، يعنون أنه من بني تميم، فقال لهم الشيخ عبد اللطيف : وفرعون الذي قال "أنا ربكم الأعلى" من بلدكم . فبلحوا

و معلوم أن أبا البيض كان يكِّن للأزهر والأزهريين عداءً أسوداً لا مبرر له إلا ما سمعته من الأخ الشريف حسن الكتاني فك الله أسره : سببه أنه لم ينجح في امتحان ولوج الأزهر لأول قدومه مصر، فأورثه ذلك حقداً وكراهية لهم .

وهذا المغرب بلده وطنجة مسقط رأسه[1] ومنشؤه كان يضرب به المثل في البلادة وسوء الطباع، والانحراف في الدين، بل وكل بلية وجدت إلا وللمغرب والمغاربة نصيب وافر منها، وكلامه في الحط على المغرب والمغاربة متناثر في رسائله، وكان لمدينة طنجة القسط الأوفر من كراهيته وبغضه، حتى إنه نظم تائية من الطويل مختلة الوزن في نحو سبعمائة بيت، سماها :"بعر النعجة في أخبار أهل طنجة "، عدّد فيها مساوئ أهل طنجة، وسبهم سبّاً بالغ الفحش والسوء، وردّد لعنهم بعد كل مجموعة من الأبيات كاللازمة، ولم يكفِه ذلك حتى أملى عليها شرحا سماه "صدق اللهجة في التحدث عن مساوئ أهل طنجة"، جردها وأهلها من كل خير، حتى الجمال الطبيعي، وقال بأن هواءها موبوء، وهو الذي أورث أهلها الحمق وسوء الطباع، –و نسي أنه منهم–، وردّ على من يقول من المؤرخين بأن ذلك من عين ماء بها، وكتب على قول القرماني في كتابه في الجغرافية وهو مطبوع حجري : أهلها مشهورون بقلة العقل . فكتب على هامش نسخته —و هي محفوظة بخزانة تطوان– : إي والله، وقلة الدين والمروءة . ولم أدر سبب هذا العداء لطنجة وأهلها، وفيها عاش والدهم وأنجبهم بها، وعاش بين أهلها كأنه أمير

[1] بل مسقط رأسه مدشر بني منصور من غمارة، ولا تسل أيضا ما يقول في تجكان . ودونك الجواب المفيد 64 لتعرف جلية الخبر .

مطاع، وتساءلت عن ذلك مدة إلى أن أخبرني الأخ الأستاذ أبي بن الزمزمي —و أهل مكة أدرى بشعابها– حكاية عن أبيه أن سبب ذلك راجع إلى مقدم الزاوية مْفَرج، وكان والد أبي البيض أولاه النفوذ التام فيما يتعلق بالزاوية ودائرتها، فكان أبو البيض، وهو شاب مدلّل معتز بجماله ومركزه، يُعاكسه، وينقض ما أبرمه إلى أن ضاق به ذرعا فشكاه لوالده، وهدّد بالانسحاب إن بقي الأمر كذلك، فغضب الشيخ من ولده، وأَمَره بتقبيل يد المقدم واستسماحه، فأذعن على كره وحمل نفسه في ذلك ما لا تطيق، فانفجرت عارمة تدمّر كل شيء بأمر ربها، وقد توقف عن إتمام شرح التائية، وفيما كتب ما يقض المضاجع ويصم الآذان والمسامع .

ومن مواقف أبي البيض المخزية التي تنم عن قسوة في القلب، وغلظ في الطبع، وانعدام الرحمة والشفقة والإنسانية، تشفيه من إخوانه المغاربة حينما دمّر زلزال كبير لم يسبق له مثيل مدينة أكادير، وأودى بحياة أكثر من خمسة عشر ألف نسمة معظمهم من النساء والشيوخ والأطفال، لأنه داهمهم ليلا، فسبهم أبو البيض واعتبر ذلك انتقاما من الله له، وهو إنما ناله ما ناله من ظلم على يد الاستقلاليين، فتأمل هذا الموقف من شيخ الطريقة وخادم الحديث الذي يروي حديث "الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء" .

والمقصود أن أبا البيض لم يسلم من سُم يراعه كثير من البلاد والعباد، فتراه إذا حرد وغضب يُجرر ذيل غضبه ونقمته على المعاهد والديار والجماعات، فقد ألف "الإقليد في تنزيل كتاب الله على أهل التقليد" عمم فيه الحكم بالردة على جميع المقلدين، وهم أغلب المسلمين في جميع بقاع الأرض، وضلل بل كفر الأشاعرة

حتى إمامهم أبا الحسن الذي تاب إلى الله[1]، والماتريدية، هؤلاء من حيث العقيدة، وضلل وفسق الحنابلة من جهة النصب والرد على الصوفية، وحتى هؤلاء ليس عنده ميزان ولا ضابط يُرجع إليه في تمييز المحق من المبطل، فهذا الترمذي الحكيم، وأحمد التجاني، وعلي بن ميمون، وغيرهم كثير، دجاجلة كذابون، وابن العربي الحاتمي والششتَري وابن سبعين والحلاّج والتلمساني وابن إسرائيل والردّاد وابن أضحى، وأمثالهم من الملاحدة، في قمة الولاية والعرفان، والشيعة والروافض ودينهم فاق في الفساد والبطلان دين اليهود والنصارى والمجوس، لا يتناولهم بسوء أبدا ؛ بل له منهم شيوخ يروي عنهم ويثني عليهم وتراجمهم عنده في "البحر العميق"[2] .

أما الأفراد فيطول جلب أقواله فيهم بين التكفير والتضليل، والتفسيق والتجهيل، وهم عشرات ذكر منهم الأخ مصطفى السفياني في "تنبيه القاري، إلى فضائح أحمد ابن الصديق الغماري" من صفحة 17–87 وفاته الكثير، وقد تقدم في الفصول السابقة الإشارة إلى بعض ذلك، وعلى رأس هؤلاء : الصحابة الكرام رضي الله عنهم ولعن من طعن فيهم كمعاوية، وأبيه أبي سفيان –و قد خص هذا من مطاعنه بما يدل على رقة الدين وانعدام الحياء–، وعمرو بن العاص، وعبد الله بن الزبير، والمغيرة بن شعبة – وهو ممن بايع تحت الشجرة–، وسمرة بن جندب، وغيرهم . ومن تابعيهم، كأبي حنيفة –و يكاد يخرجه من الملة[3]–، والإمام مالك صحح ما حكاه عنه أبو الفرج في الأغاني من أنه كان مغنيا يتعاطى الغناء

[1] انظر جؤنة العطار 76/3 .

[2] وانظر جؤنة العطار 206/2-207 .

[3] انظر الجواب المفيد 138 .

ويتقنه[1]، وهو يعلم كذب ذلك، وكان إذا تناوله ذكره ببرودة وسوء أدب، أما أتباعه ولا سيما المتأخرون منهم فحدث عن البحر ولا حرج، وأسوأ حظا منهم الحنفية والحنابلة الخبثاء !! ولا يسلم من معرته إلا الشافعية، وقد كان في يوم من الأيام ينتسب إليهم[2] بعد الزيدية، ثم اختار لنفسه أخيرا مذهبا مباينا لهؤلاء كلهم في منتهى الغرابة والسُّوء، وعليه مات، ولنخلص الآن لاختيار كلمات عوراء أطلقها في حق شيخ الإسلام وحزبه، نوردها مرقمة ليلمس الناس مدى انحرافه وعدائه الشديد لهذه الكوكبة من المصلحين الذين قامت بهم وبأمثالهم حجة الله على خلقه :

1– في الجؤنة ما نصه : والمقصود التنبيه على تدليس الذهبي في شأن بني مروان ؛ بل التناقض الظاهر، والتحيز الباهر، فسبحان من ابتلى أهل الشام بحب بني مروان، والانحراف عن آل البيت الأطهار، ومن رأى كلام ابن كثير، عرف أن الذهبي لا شيء بالنسبة إليه، أما شيخهما ابن تيمية، فهو عدو آل البيت الأكبر، كما أنه عدو أهل الله، فالحمد لله الذي عافانا مما ابتلاهم به، وفضلنا على كثير ممن خلق تفضيلا[3] .

[1] انظر جؤنة العطار 228/2 .

[2] انظر جؤنة العطار 10/2 .

[3] جؤنة العطار 29/1 .

2– وفيه أيضا كلام عن الذهبي وابن كثير في نفس الموضوع ختمه بقوله : أما شيخهما ابن تيمية شيخ النصب، وإمام الضلالة، فكان أخبث منهما وأوقح الخ[1]

3– وفيه أيضا بعد كلامه على رحلة بلال إلى المدينة مناما بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأذانه بها[2]، وبكاء الناس الخ، قال أبو البيض : (في هذه الرؤيا النبوية الحقة رد على شيخ الضلالة ابن تيمية الذي يحرم شدّ الرحلة لزيارة أفضل الخلق صلى الله عليه وآله وسلم)[3] .

قلت: وفي هذا تجنٍ على شيخ الإسلام من وجوه:

أولا : أن هذه الرؤيا ليس لها سند صحيح .

ثانيا : أن الرؤى لا تؤخذ منها أحكام .

ثالثا: أن الذي حرَّم شد الرحال لغير المساجد الثلاثة هو الرسول عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح : (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد) الحديث .

وقد تواصى المبتدعة بنسبة تحريم شد الرحال مطلقا إلى ابن تيمية، في حين أنه يتمسك بالحديث في شد الرحال لزيارة القبر فقط .

---

[1] جؤنة العطار 33/1 .

[2] رواها ابن عساكر في تاريخ دمشق 136/7 . من طريق إبراهيم بن محمد بن سليمان بن بلال بن أبي الدرداء، قال الذهبي : فيه جهالة. وذكرها ابن حجر في اللسان 201/1، وقال : وهي قصة بينة الوضع .

[3] جؤنة العطار 26/1 .

4– وفيه بعد كلام عن كتاب "المواقف" لعبد القادر محيي الدين الجزائري وأنه حصل عليه بواسطة طابعه بمصر شيخه شلبي الشبرانجومي الذي كان يحبه وينشط بمذاكرته قال : إذ علم أني عدو لابن تيمية والقرنيين أذنابه، خبير بطاماته وضلالاته[1] .

5– وفي الجؤنة ما نصه : ذكر ابن تيمية في كتابه الخبيث (منهاج السنة) وهو رد على ابن المطهر الحلي كلاما قال فيه : (و لئن كان أهل السنة يُرَبِّعون الخلفاء بعلي فإن جماعة من أهل السنة بالأندلس كانوا يربعون بمعاوية ...) قال أبو البيض : إنه لم يعرف مصدر ابن تيمية في هذا حتى وقف على تكملة ابن الأبار، ونقل ما فيه مما يشهد بوضوح لقول ابن تيمية، ثم قال : فعلمت أن هذا مصدر ما حكاه ابن تيمية، فازددت عجبا ويقينا بخبثه ونصبه وكذبه، فإنه دلس ولبس، ونسب ما قاله ابن عبد ربه إلى أهل الأندلس، (تأمل كذب أبي البيض على ابن تيمية، فإنه قال : فإن جماعة من أهل السنة كما تقدم آنفا) وسمى فاعل ذلك من أهل السنة (و بنو أمية بالأندلس كانوا من أهل السنة مالكية المذهب) فقبحه الله ما أشد عداوته لآل بيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، وما صنع شيئا إلا أنه برهن على نفاقه، فقد قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام : "لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق[2]" ... ثم هو غير مؤمن بنص كتاب الله تعالى : (إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله)[3] ...

---

[1] جؤنة العطار 14/1 .

[2] رواه مسلم في الصحيح – باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي رضي الله عنه من الإيمان، وعلاماته، وبغضهم من علامات النفاق– رقم : 74 .

[3] النحل : 105 .

و قد افترى هذا المجرم الدجال على أهل السنة، وعلى أهل الأندلس، ونسب إليهم ما هم منه براء[1] .

قال أبو أويس : وأبو البيض كان يحكم على أهل الأندلس دون تفريق بالنصب، وسألته مرة عن كتاب "البغية" للساحلي فأثنى عليه ونعى عليه نصبه المتجلي في تراجم أهل البيت في كتابه، وكيف تحدث عنهم ببرودة[2] !

6- وفيه ما نصه : قرأت لابن تيمية رسالة أجاب بها من سأله : هل صح حديث في فضل علي عليه السلام، فزعم عدو الله أنه لم يصح حديث في فضل علي البتة، وإنما في الصحيح قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم : أنت مني بمنزلة هارون من موسى، وهذا لا فضل فيه، لأن الله تعالى قال : (بعضكم من بعض)، مع أنه عدو الله يعلم أن إمامه أحمد رضي الله عنه قال : ما ورد في فضل أحد من الصحابة بالأسانيد الصحيحة الجياد ما ورد لعلي كما رواه الحاكم في المستدرك بالسند الصحيح إليه، ويكفينا أن في صحيح مسلم قوله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي : (لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق)، فلو أقر ابن تيمية بصحة هذا الحديث !؟ أو حكى للسائل أنه في صحيح مسلم لشهد على نفسه بأنه منافق عدو لله ورسوله[3] .

قال أبو أويس : كتبت أنا بخطي بهامش نسختي هنا ما نصه : ليت المؤلف (أبا البيض) سمى لنا هذه الرسالة التي ذكر فيها شيخ الإسلام هذا الكلام، ولكنه لم يفعل ولا يفعل هذا أبدا، وهي طريقة قديمة معيبة تدليسية، لا تتفق والمنهج

---

[1] جؤنة العطار 12/2 .

[2] انظر الجواب المفيد 85 .

[3] جؤنة العطار 19/2 .

العلمي، وكلام ابن تيمية شيخ الإسلام في فضل علي وما ورد فيه مشهور مبثوث في كتبه وفتاويه (و قد جمع بعض المعاصرين كلامه في علي وآل البيت في جزء مطبوع) لا سيما (منهاج السنة)، ولكنه بالنسبة لغلاة الشيعة والروافض نصب وعداء ونفاق، ولو جارينا المؤلف وأئمته الروافض لحكمنا على الأمة حتى الصحابة بالنفاق كما يفعلون، وقد صرح أبو البيض بأن أكثر الصحابة كانوا يحسدون عليا ويبغضونه فهم بالتالي منافقون، وقد سبق النقل عنه بذلك .

7- وفيه أيضا في كلامه على تاريخ ظهور الحشيش ما نصه : مما يرد على ابن تيمية زعمه أنها أول ما ظهرت في أواخر القرن السادس، أن الزركشي ذكر في كتابه (زهر العريش، في تحريم الحشيش) أنها ظهرت في القرن الخامس، وكأنه أخذ ذلك من كلام بعض الفقهاء الشافعية من أهل القرن الخامس، كأبي إسحاق الشيرازي على حكمها، مع أن دعوى الزركشي مردودة أيضا بما حكاه صاحب "السوانح"، والمقصود بيان أن جل كلام ابن تيمية تهجمات من هذا القبيل من غير تحقيق ولا مستند[1] .

قال أبو أويس : كتبت أنا على هذا الموضع ما نصه : هذا هو مقصود المؤلف (أبي البيض) مع أن ابن تيمية ربما كان يعني بظهورها ببلده الشام، وأنها لم تعرف به قبله، وتهوين المؤلف أمر الحشيش خطر، لأنه تبيّن الآن بتحليل آثارها على المخ والأعصاب، وعلى المدى الطويل أنها أخطر وأفظع من الخمر، ولذلك تعاقب عليها كثير من الدول بالإعدام، (و الحكم باطل في الإسلام، لأنه لم يرد فيها حد، وإنما فيها التعزير)، والصوفية مشهورون بتعاطيها من زمن طويل حتى سميت "حشيشة الفقراء"، وإخوة المؤلف : عبد الله، وعبد الحي، وعبد العزيز

[1] جؤنة العطار 28/2 .

مخالطون لتجارها بطنجة، يقبلون جوائزهم، ومساعداتهم، ويفتونهم بإباحة عملهم ؛ بل إن أحد أحفادهم مشهور بالتجارة فيها، وهو من سكان الزاوية، وحبس من أجلها مرة، والله أعلم بما وراء ذلك، فافهم .

8- وفيه بعد إيراده رواية باطلة من روايات الإسراء وأعقبها برواية عن يعقوب عليه السلام تتضمن تقديس البقاع واستحباب الصلاة فيها، قال أبو البيض متحديا لله ورسوله وأصحابه : ففي هذا دليل على أنه يستحب تعظيم البقاع التي وقع فيها للصالحين تعبد وانقطاع إلى الله تعالى، أو حصل لهم فيها فتح !؟ وأنه ينبغي الصلاة فيها والتبرك بها إذا مر في طريقه عليها خلافا لما يدّعيه شيخ الضلالة ابن تيمية وأذنابه[1] .

قال أبو أويس : وهذا كما ترى محادة لله ورسوله، وإذا كان الإسلام كما زعم أبو البيض هنا فلماذا نعى النبي صلى الله عليه وآله وسلم على أصحابه وهم حديثو عهد بإيمان، طلبوا منه أن يجعل لهم ذات أنواط، وكبّر وقال : إنها السُّنن، لقد قلتم كما قال بنو إسرائيل لموسى : (اجعل لنا إلاها كما لهم آلهة)، ولماذا حرم الرسول شد الرحال لغير المساجد الثلاثة، ولعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند أبي البيض من الوهابية لحرصه على نظافة التوحيد وسلامة العقيدة من لوث الشرك، وصنيع المؤلف يدل على جهله بتوحيد التوجه والعبادة، ولهذا كان لا يرى بأسا من دعاء الأموات، والاستغاثة بهم في الشدائد، وقصد أضرحتهم لاستنزال المطر، وحدثتني حماتي أنهم كانوا يحلفون باسم أبيها والد أبي البيض ويهتفون باسمه وهم مرضى وهو بين أظهرهم يسمعهم ويوافقهم (و من يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم) .

[1] جؤنة العطار 106/2 .

9- وفيه بعد أن وضع كلية غمارية مما أوحاه إليه شيطان رفضه، وهي : كل حديث تجد فيه ذكر مبهم ذمّه النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أو وصفه بأنه من أهل النار، أو رأس الفتن، أو نحو ذلك فاعلم أنه معاوية يبهمه الرواة النواصب المنافقون أعداء الله ورسوله، وأحباب أعدائه، وبعد كلام ذكر أنه درّس مع بعض الطلبة مقدمة ابن الصلاح، وأنه حضر درسه مرة بعض أتباع محمود خطاب السبكي، وسمعه يقول عن علي : عليه السلام، فغضب وكان أعمى البصر والبصيرة، وقال هذه بدعة ورفض وتشيع، وذهب ولم يعد، قال أبو البيض –على عادته في الكذب والتزيد- : مع أن أكثر السلف الصالح من المحدثين والفقهاء والمفسرين والصوفية (و هل كان في السلف صوفية ؟ ونعني بالسلف من شهد لهم النبي بالخيرية في الحديث الصحيح : خير الناس قرني..) ومن بعدهم إلى وقتنا يخصّصون عليا وآل بيته بقولهم : عليهم السلام (و هذا كما ترى كذب مكشوف وهو شعار الشيعة والروافض فقط)، وفي صحيحي البخاري ومسلم الكثير من ذلك، واعجب من هذا أن ابن تيمية إمام هذه الطائفة الضالة وشيخ النواصب لا يكاد يذكر عليا وفاطمة إلا ويقول : عليهما السلام، بدل : رضي الله عنهما، تدليسا وسترا لنصبه، وذرا للرماد في أعين الناس على عادته في التلبيس وسبك طرق الإضلال .

ثم ذكر ما زعمه أحاديث صحيحة في ذم معاوية[1]، وقد رددها مرارا، والواقع أن ابن تيمية رضي الله عنه وأرضاه أبعد الناس عن التدليس والتلبيس والنفاق وذر الرماد في العيون، وإنما هذه أخلاق أبي البيض وآله إلا من رحم الله منهم، ومعلوم من تاريخ ابن تيمية أنه كان مضرب المثل في الشجاعة والإقدام ولا أدري لماذا

[1] جؤنة العطار 186/2 .

سُجن سنين إن لم يكن هذا السبب، فقد ناظر المتصوفة وقهرهم، ومتعصبة الفقهاء وأفحمهم، والأمراء والحكام والنصيريين والباطنية حتى رموه عن قوس واحدة، ومن يقوم هذا المقام، ويصارع هذه الطوائف، ويحمل السلاح لرد التتر حتى دحرهم، يخاف أن يقول عن علي وآله رضي الله عنهم بدل عليهم السلام ؟ هنا مضرب المثل العربي "رمتني بدائها وانسلت"، وقد كتبت على هذا الكلام بخطي ما نصه : عجيب أمر المؤلف (أبي البيض)، فشيخ الإسلام ابن تيمية وتلاميذه الذين هم بحق جند الإسلام وحماته بالسيف والقلم ضد المفسدين من المشركين والباطنية والتتر والصليبين والصوفية والمقلدين والروافض، هؤلاء عنده مجرمون ضالون مضلون، بل كفرة ملاحدة منافقون كما يصرح به أحيانا، وإن أفصحوا بفضائل أهل البيت، وقرروا منها ما هو صحيح، وجروا على ما جرى عليه بعض المتقدمين من السلام على علي وآله، قال أبو البيض : إن هذا كله ستر للنصب واحتيال وذر للرماد في العيون الخ، فهل المطلوب منهم عند أبي البيض عبادتهم مع الله، والإعلان بأنهم آلهة، وأرباب، أم ماذا !؟ وكان من واجب أبي البيض أن يسكت على رأي المثل "من كان بيته من زجاج فلا يرم الناس بالحجارة" : إنه ما زال على قيد الحياة هنا من يعرف عُجر وبُجر كبير الجماعة التي أشار إليها الشيخ التهامي الوزاني في الجزء الثالث من تاريخ المغرب، وأن دهاقنة الاستعمار وقع اختيارهم عليه لتنفيد مخططهم في القضاء على المقاومة المسلحة ورموزها في الشمال، وقد اغتيل منهم أبطال معروفون، والتاريخ لا يرحم، وقد سمعنا منهم ما يندى له الجبين من مواقف الخيانة والعمالة للمغتصب الكافر، فهل من يتورط في هذا البلاء يطاوعه لسانه على ثلب عصابة العلم والإيمان والتوحيد، الذين هم بالنسبة لهؤلاء ملائكة ؟ ألا قبح الله من لا يستحي ولا يخاف الله تعالى .

10- وفيه ردا على ابن القيم الذي أنكر حديث : إن الله يحب كل قلب حزين، ومحاولة تصحيحه من أبي البيض، ثم قال : وكيفما كان الحال، فإنكار الحديث، وأنه لا يُعرف له إسناد ولا مخرج، غريب جدا من ابن القيم، وكأنه أخذ هذه الطريقة عن شيخه ابن تيمية الذي كان لا يتورع عن إنكار ما لم يصل إليه علمه، ولا يتثبت في ذلك كما هو معلوم[1] .

قال أبو أويس : أي معلوم عند الجهال بأقدار العلماء، المجترئين على الفضائح والدواهي دون مبالاة .

11- وفيه ما نصه : ابن تيمية شيخ النواصب لفرط نصبه وخبثه عارض الإمام الشافعي رضي الله عنه في قوله في أبياته المشهورة : [الكامل]

إن كـــان رفضـــا حـــبُّ آل محمّـــــــــــــــــــــد فليشـــــــهد الـــــــثقلانِ أنيَ رافضـــــــــــــــــــي

فقال ابن تيمية الخبيث :

إن كـــان نصـــبا حـــب آل محمـــــــــــــــــــــد فليشـــهد الـــثقلان أني ناصـــبي

و هذا منه تستر ومصادرة، فإنه لم يقل أحد من الناس إن حب الصحابة نصْب (هذا كذب ومغالطة، فإن المؤلف وإخوانه، وفيهم شيوخه الخمسة أول من

[1] جؤنة العطار 219/2 .

يقول بذلك ؛ بل إن أول علامة على النصب، اعتقاد صحبة معاوية وأبيه وعمرو بن العاص ومن معهم، بل جمهرة الصحابة إلا الأربعة كلهم كفرة منافقون عند الشيعة، فمن يواليهم أو يترضى عنهم فهو ناصبي منافق وهذا من أوليات مذهبهم، والمؤلف يعرف هذا ولكنه يتغاضى عنهم لعطفه عليهم وحبه لهم، وهواه معهم "ولتعرفنهم في لحن القول") وإنما يقول النواصب إخوانه : إن حب آل البيت رفض كما قال الشافعي رضي الله عنه، ومن أعجب ما يلقم به هذا الخبيث، وتقام به عليه الحجة من نفس كلامه : أنه عدو الله كان شديد البغض لعلي عليه السلام، وعلي من الصحابة وآل البيت معا، فأين حب الصحابة الذي يدّعيه ؟ (كبرت كلمة تخرج من فيك إن تقول إلا كذبا وزورا، ثم إن الحب والبغض من أفعال القلوب، فمن أطلعك –يا أبا البيض– على قلب ابن تيمية، وهذا ثناؤه ومدحه لعلي وآل بيته مبثوث في كتبه وفتاويه، والواقع أن أبا البيض لم يقرأ من كتب شيخ الإسلام إلا أقل القليل وكثير منها طبع مؤخرا، وأعتقد أنه لو اطلع عليها كلها ما غير عقيدته، فإن شأن ابن تيمية أكل قلبه، واستولى على تفكيره، فلا يكاد يذكره حتى يتعكر دمه، ويفلت الزمام من يده فينفجر تسخطا ونقمة وتجريحا) والمقصود أنه لفرط نصبه أراد أن يصرح بما في قلبه، فركّبه في هذا القالب، ولوّنه بهذا اللون، وإلا فمجرد معارضته لبيت الإمام الشافعي رضي الله عنه، يصرح بنصبه، وفرط بغضه لآل بيت نبيه ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم فكيف بما فاه به في حق علي عليه السلام من تلك الطامات الدالة على نفاقه بشهادة المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى ؛ بل وزاد –قبحه الله– فتكلم في سيدة نساء أهل الجنة وبضعة الرسول، وأحب الخلق إليه، فاطمة الزهراء صلى الله عليها وسلم فقال في كتابه

الخبيث (منهاج السنة) : إن فيها شبها من المنافقين، قبحه الله وعامله بما يستحق[1] .

قال أبو أويس : هذه التهمة رددها مع أبي البيض شقيقه عبد الله، وهي تهمة مردودة، ومعاذ الله أن يقول مسلم هذا في حق السيدة فضلا عن إمام جبل في السنة كابن تيمية، وقد راجعت كلامه رحمه الله فوجدته في موضوع الإرث وأرض فدك، وحرص السيدة رحمها الله ورضي الله عنها على طلب حقها رغم ثبوت الأحاديث عن والدها صلى الله عليه وآله وسلم أنه لا يورث، وأن ما تركه صدقة، وأبلغها الصديق رضي الله عنه ذلك وخيرها أن تأخذ من ماله ما شاءت، ولكنها أبت وأصرت، ونحن لا نعتقد عصمتها، وأن موقفها هذا خطأ بلا شك، وكلام ابن تيمية في تخطئتها واضح، ولكن أبو البيض يقتطعه من سياقه للشغب والتخليط .

12- وفيه أيضا أثناء كلامه على الأنصار وإخبار النبي صلى الله عليه وآله وسلم إياهم أنه سيلقون بعده أثرة، قال أبو البيض : وكان ذلك من أعلام نبوته صلى الله عليه وآله وسلم، فأول من استأثر عليهم وعاملهم بالإهانة معاوية إرادة لاحتقار من عظم الله، وتشفيا منهم لنصرتهم الله ورسوله، وإعلائهم دينهم[2] .

قال أبو أويس : وأين ومتى وكيف أيها الأفاك ؟

13- وفي الجؤنة حول الكلام على بدعة التعريف الذي يقع يوم عرفة وهو اجتماع الناس بالمساجد للذكر والدعاء، وأن ابن تيمية حكم بأنه بدعة .

---

[1] جؤنة العطار 233/2 .

[2] جؤنة العطار 235/2 .

قال أبو البيض وهو في ذلك على عادته : مع أن إمامه أحمد أجازه، (و قد طبع لشيخنا الألباني مساجلة جرت في ذلك بين ابن عبد السلام وابن الصلاح يستفاد منها أنها بدعة ضلالة)، ولكن أبو البيض قال : القياس ما قاله أحمد، لا ما زعمه ابن تيمية، فإن الاجتماع للذكر والدعاء مطلوب مرغّب فيه ... وما كان كذلك فلا يسمى بدعة، لأن البدعة هي ما أُحدث في الدين مما لا شاهد له في الدين، ولا يمكن اندراجه تحت قاعدة من قواعده الخ[1] .

قال أبو أويس : وهذا يتمشى مع مفهوم البدعة عند أبي البيض وقبيله، وهو مفهوم خطأ، لا يقبل الاطراد إلا على سبيل التحلل، فهم في زاويتهم بطنجة لا يقرأون القرآن يوم الجمعة بصوت واحد كما في سائر المساجد، لأنه بدعة ! ولا يؤذنون ثلاثا كما يفعله الآخرون لأنه بدعة، ولا يهللون بالليل، ولا يقولون : أصبح ولله الحمد، ولا يذكرون الخلفاء الراشدين ولا يدعون مع الملك إلا تحلة القسم بدعوى أن هذا كله بدعة مع أنه يندرج تحت قواعد الشرع كما يقول الآخرون، وقد مضى الكلام في الرد على أبي البيض في موضوع الابتداع وقوله بالبدعة الحسنة، والمقصود الحط على ابن تيمية بما تيسر .

14- وفيه أيضا دفاع أبي البيض عن الروافض، والطعن على النواصب وخصوصا الحنابلة، ونقل عن بعضهم الطعن على علي رضي الله عنه ولمزه بشرب الخمر، وأن ابن رجب الحنبلي اعتبر ذلك تسننا (يعني ميلا إلى أهل السنة) .

قال أبو البيض : انظر إلى خبث الحنابلة في هذا الباب لا سيما من جاءوا بعد ابن تيمية رأس النواصب، وشيخ أهل الضلال، لاسيما من أدلى إليه بالتتلمذ

[1] جؤنة العطار 7/3 .

على تلامذته وأصحابه الذين تسمموا بخبثه ونصبه، فابن رجب أخذ عن جماعة من أصحاب ابن تيمية الخبيث من أشهرهم ابن قيم الجوزية، لا بارك الله في تلك الطائفة[1] .

قال أبو أويس : تأمل خروج أبي البيض عن الطوق، وتعديه الطور، ومراد ابن رجب رحمه الله واضح، ومقالة الرجل (يعني في نبز علي بما ذكر) كذب وافتراء مكشوف لا يروج على طالب مسلم، ولكنْ أبو البيض نسي أن أحبابه الروافض يسبون الصحابة ويكفرونهم، ويملأون كتبهم فضائح لا يسمعها مؤمن فضلا عن كتابتها، فضلا عن اعتقادها، ومع هذا لا ينتقدهم بكلمة .

15- وفيه أيضا نقل عن ابن رجب ترجمة الشيخ عبد القادر الجيلاني من طبقات الحنابلة ودفاعه عنه ونقده لكتاب (بهجة الأسرار) للشطنوفي المصري، وما فيه من الطم والرم والشطح، وأن الكمال الأُدفُوِي المصري ذكر أن الشطنوفي متهم بالكذب فيما حكاه في هذا الكتاب، ولم يرق هذا أبا البيض فحمل على ابن رجب، وقال بخصوص تلك الشطحات بأنها معروفة عن سائر أهل الله، ولاسيما أصحاب الحال القوي كالشيخ عبد القادر رضي الله عنه وأمثاله، وهي أمور لا يفهمها كبار العلماء غير الحنابلة الجامدة (و نسي أبو البيض أن الشيخ عبد القادر حنبلي جلد) فضلا عنهم، فضلا عمن تسمم ببدعة ابن تيمية، وخبث نفسه، وكبريائه، وغطرسته، وشدة عداوته لأهل الله تعالى[2] .

قال أبو أويس : وهذا تهويل متعمد، وإلا فما يسميه أبو البيض شطحا معروف، وشريعة الإسلام فوق كل شيء (وما ذا بعد الحق إلا الضلال)، والمؤلف

[1] جؤنة العطار 13/3 .

[2] جؤنة العطار 20/3 .

كفّر التجاني، وسخر منه، واستهزأ بمحمد الكتاني، وما نقل عنهما لا يشكل رُبع ما نقل عن ابن العربي وحزبه، ومع ذلك فهؤلاء من كبار العارفين دون أولئك (إن تتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس) .

16- وفيه أيضا في جواب له لشقيقه عبد العزيز قال : أما مسألة الذهبي مع علي وآل البيت رضي الله عنهم، فهي أوضح من أن تشتبه على عارف بأهل الشام، فإنهم كلهم نواصب طبعا لا تطبعا، وخلقة لا تخلقا (تأمل غلو الرجل في هذا الكلام الذي لا يصدر عن عاقل يدري ما يقول، فإن أهل الشام آلاف مؤلفة من العلماء والحفاظ الخ. فكيف يكون هؤلاء كلهم أعداء آل البيت) فالشامي ناصبي قصد أو لم يقصد، وعرف أو لم يعرف، لاسيما حزب ابن تيمية الذين منهم الذهبي الذي قيل فيه : لو كان قوله تعالى (و ما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) نازلا في حق علي عليه السلام لقال الذهبي إنها آية موضوعة، وأمره في هذا أشهر من نصب شيخه ابن تيمية تقريبا، وإن كان ابن تيمية أخبث وأوقح وأجرأ في ذلك وأفصح إلا أن الذهبي اشتهر أمره بسبب كلامه في الرجال، وبعد أن هون من تأليف الذهبي في مناقب علي، وأنه لم يكن صادرا عن محبة وإخلاص، ولعنه لابن ملجم لأنه لو خالف ذلك لخرق الإجماع، ولكشف القناع عن وجهه، وساوى شيخه ابن تيمية في خبثه ووقاحته وجرأته وتجاهره بعداوة أهل البيت، قبحه الله وأخزاه، والذهبي مهما يكن شاميا فهو أعدل وأعقل من ألف من الخبيث ابن تيمية قبحه الله[1]

17- وفي رسالة عجيبة له إلى ذنبه الأجرب أبي الفتوح عندي صورة منها دون تاريخ يقول : ابن كثير ليس تابعا لابن تيمية في النصب، بل تابع لأهل بلده

[1] جؤنة العطار 124/3 .

دمشق فإنهم نواصب حتى قِطَطم وجيرانهم من يوم وجود الطاغية (معاوية رضي الله عنه) بين أظهرهم إلى اليوم، ولو قرأتَ ما يكتبه اللعين محب الدين الخطيب الدمشقي عن أهل البيت للعنت أهل دمشق أجمعين أكتعين أبصعين .. وأما هو والذهبي والمزِّي، فأحبك أن تعرف أن المزي لا يجوز أن يذكر معهما، أو على الحقيقة أن يذكرا معه، فإن المزي ولو أنه شيخهما إلا أنه طبقة عالية جدا جدا جدا، فهو من طراز الأقدمين كالدارقطني وابن حبان، وأوسع اطلاعا على الرجال ؛ بل كنت كثيرا ما يدخلني شك فيه هل هو آدمي بشر أو من نوع أرقى من البشر الخ .

قال أبو أويس : وفاته أن هؤلاء وغيرهم من تلاميذ ابن تيمية، ويكنون له أعظم الوفاء، وتأمل غلو أبي البيض في المزي غلوا يضحك الثكلى، ويصح أن يذكر في أخبار المغفلين والحمقى، وهؤلاء الجلّة عند كل أحد منهم ما ليس عند الآخر، ثم هم جميعا من أهل الشام، ومعلوم أن أبا البيض يؤمن بما ورد في رسالة الذهبي عن ابن تيمية، وهي رسالة منكرة مدسوسة، وحملة أبي البيض على محب الدين الخطيب كانت بسبب تأليفه لرسالته الدامغة للروافض (خطوط عريضة لدين الشيعة الإمامية) التي كانت قنبلة ذرية على رأس الروافض كشفت لأول مرة عن فواقرهم بكلام موثق بنصوص طواغيتهم المنقولة مباشرة عنها، ثم زاد طبعه لمختصر الذهبي لمنهاج السنة وتعليقه عليه، وفصل فتنة مقتل عثمان وما ترتب على ذلك من كتاب (العواصم من القواصم) لابن العربي، وقد أفاد وأجاد رحمه الله وعفا عنه

18- وفي رسالة له أيضا لأبي الفتوح بخط إبراهيم أخي أبي البيض لشدة مرضه، وقد توفي بعدها ببضعة أشهر، وفيها يقول بأن ابن حزم مأجور على خطئه في الاجتهاد كالشيخ الأكبر ابن العربي بخلاف ابن تيمية الشامي الناصبي الخبيث،

فإنه حقود حسود له مقاصد سيئة في دعاويه، فلذلك اتفق أهل الله على ذَمِه ؟!! فابن حزم اجتهد فأخطأ فله أجر، وابن تيمية تلاعب وضلل فعليه إثم الضالين .

قال أبو أويس : هكذا يكون الدجل والكذب والرسوخ في الضلال، وليت أبا البيض ذكر لنا من هم أهل الله الذين اتفقوا على ذم ابن تيمية، ولعله يعني زنادقة المتصوفة، كالنبهاني والكتاني، وابن حجر المكي، وكلمته فيه مشهورة ردّها عليه الشيخ نعمان بن محمود الألوسي في كتابه العجيب "جلاء العينين، في محاكمة الأحمدين"، والكوثري، وأمثالهم من حثالة الخلق الذين لا في العير ولا في النفير، وإنما علمهم شعاره (إنا وجدنا آباءنا كذلك يفعلون) ولعل أبا البيض لم يقرأ ما كتب في مناقب ابن تيمية وهو عشرات الرسائل والكتب والأبحاث، ومن أهمها وألصقها بالموضوع (الرد الوافر) لابن ناصر الدين، وقد ترجم فيه كثيرا من كبار العلماء الذين أطروا شيخ الإسلام، ودافعوا عنه ووصفوه بشيخ الإسلام، وأنا أعتقد أنه لو قرأها كلها وأمثالها معها لم يغير رأيه، ولم يقلع عن ضلاله وظلمه، لغلبة الشقاء عليه، وبلوغه في دائه درجة لا يرجى معها شفاء، وكأنه ينشد قول عارفهم الحراق التطواني الذي يعرب فيه عن عرفانه ؛ بل طغيانه في البدعة والمسخ : [البسيط]

صـــبغت فيـــه بألـــوان بلغـــن عقلـــي فـــلا يرتجـــى كشـــف إلى لتلـــــــــــــــــــــــــويني

وقد عرفتُ بمراجعة أبي البيض كتابة ومشافهة أنه لم يقرأ من كتب هذه الكوكبة المضيئة من مصابيح الكون، كابن تيمية، وابن القيم، وابن كثير، والمِزي، وابن عبد الهادي، وابن رجب، إلا القليل لأنه كان منذ البدء مملوء الخاطر من

كراهيتها، وبغض أصحابها، ثم إن الكثير منها بل أكثرها لم يكن طبع كالعشرات من كتب ابن تيمية، وسير أعلام النبلاء، وتاريخ الإسلام للذهبي، والكثير من كتب ابن القيم، وفتح الباري لابن رجب، وغيرها، وإنما كان مكبا على قراءة "الفتوحات" والفصوص واللمع والإحياء والرعاية والإبريز، ونحوها من البثور في محيا العلم .

19- وقفت مرارا على تحذيرات أبي البيض من كتب ابن تيمية وتلاميذه وأئمة الدعوة النجديين، وتصريحه أنها سبب ضلال من ضل من المسلمين !! لعله تقدم شيء منها في هذه الفصول .

20- في رسالة منه لتلميذه الكرفطي دون تاريخ تتضمن جوابا عن أسئلة منها قوله : وقواعد العز ابن عبد السلام لا تفيدك بشيء مطلقا، ولا تعرف أن تأخذ منها فائدة، فهو فلسفة أشبه به من قواعد الفقه، وما أظن أن أحدا انتفع منه بشيء إلا بجمل يذكرونها وهي حرف من ألف، فلا تعمر بالك به، فإني أشبهه بكتب ابن تيمية التي يقرؤها فلا يخرج منها بفائدة، لاسيما وهذه "أحكام ابن عبد السلام" مرتبط بعضها ببعض من أول الكتاب إلى آخره، مع أنها من أولها إلى آخرها مبنية على المصالح والمفاسد، وأن الشريعة كلها جاءت لمراعاتها، ولكنها بتقسيمات وتفريعات كثيرة مملة، وفي الحقيقة فارغة والسلام .

قال أبو أويس : قراءة هذا الكلام كافية للرد عليه، نعم قوله فيها لتلميذه أبي الفتوح : لا تعرف أن تأخذ منها فائدة . صحيح جدا لأنه يعرفه بليد الطبع، فاتر الذهن، ضعيف الإدراك، وإنما هو فارس المنامات، والكرامات والمعجزات، هذا ميدان تخصصه، وإن تعجب فعجب قوله عن كتب ابن تيمية أنه يقرؤها فلا يخرج منها بفائدة، وهذا يدل على صحة ما قلت من أنه لم يقرأ منها إلا أقلها، ولم يكن

طبع منها إلا العشر، وقد بلغت الآن أكثر من مائة بين صغير وكبير، وما زالت الأيام تكشف منها عن عيون تقر بها عيون الموحدين، وتطمئن لها ضمائر العلماء المخلصين المنصفين الباحثين، وأبو البيض يتناقض كشأن المبتدعة، فقد مدح في كتبه ك : "الاستنفار، لغزو التشبه بالكفار"، وقد طبعه أبو الفتوح : كتاب "اقتضاء الصراط المستقيم، مخالفة أصحاب الجحيم" مدحا عاطرا[1]، وصرح أنه لم يؤلف في موضوعه مثله، وتراه هنا يقول ما سبق، فقبح الله من لا يستحيي .

[1] انظر خاتمة الاستنفار 78-79 .

خـــــــــاتمة

بعد هذه الطرر النيرة، والفصول الدامغة، التي هي كفيلة بإقناع من يتحلى بالإنصاف، ويتجنب الشغب والاعتساف، أن أبا البيض يتأرجح أمره بين الكفر والجحود، والفسق والضلال، ويعجبني في هذا الصدد مذهب شيخ الإسلام ابن تيمية رضي الله عنه وطيب ثراه، وهو الإمساك عن الجزم بالتكفير للجهل بمصير المردود عليه، فلعله يُوفق للتوبة والإيمان في آخر عمره، ولا ندري بماذا ختم له، وإن كانت هناك أمارات تدل على سوء خاتمة أبي البيض، وأمره إلى الله، فالصواب الحكم على الأعمال والأقوال الثابتة مع محاولة التجرد والحياد، وعدم التأثر بالهوى والعاطفة .

ويعلم الله تعالى أنني بذلت جهدي في التحري والاحتياط، والبحث والمقارنة والدرس، وأنا أعلم أنني لم أستوعب، لأن أبا البيض كان ذا جلد كبير على الكتابة، فرسائله لأصحابه ومن يسأله تعد بالمآت ؛ بل سمعت أن رسالاته لشقيقه عبد العزيز فقط بلغت ألفا، وليست –بلاشك– كلها علمية، ثم إنني أسجل هنا أنني كنت أقدّم رِجلا وأؤخر أخرى في كتابتها وتتبعها لعدم استطاعتي القيام بطبعها، فلا معنى لكتابة شيء وتركه على الرّف كما حصل لي في الرد على الكرفطي في مسألة رؤيا الله في المنام الذي لم ير النور إلا بعد أربعين سنة بينما أبو الفتوح يجمع من (فتوح) الأنعام ما يمكنه من الطبع، وهؤلاء من رواد الزاوية، وأنا أصرح في خطبي الجمعية ودروسي وكتاباتي أن المقهى إذا كان خاليا من الخمر والقمار، أفضل وأزكى من الزاوية، وقد انتقدني بعضهم في تطوان لما سمع مني هذا فلما ذاكرني أقنعته فوافقني، وهذا واضح لأن المقهى ليس فيها إلا شراب العصائر والشاي والحديث الخاص بين الناس، والزاوية كمسجد الضرار بنيت للبدعة

ونصرتها، وهي خاصة بحزب دون حزب، وتكون في الغالب مقبرة أو مشتملة على قبر يُعبد من دون الله، وتقام فيها طقوس يبرأ منها الإسلام كالرقص اليهودي والسماع الذي يمجد وحدة الوجود وأصحابها، ثم إن أبا الفتوح إليه يرجع أمر إحياء هذه الفواقر بسبب ما قام به من تشجيع زعنان زُحار البريجي الكُونْطَبْلي المحدث المؤلف المخربق على سبي وشتمي، وأوحى إليه بكل ما يتعلق بذلك، مع تبرعه بطبع كتابه المردود عليه، وذلك لحاجة في نفس يعقوب، وقد ساورني هذا الخاطر قديما حينما كان أبو الفتوح يقوم بالنميمة بين أبي البيض وإخوته، ويبذل في ذلك أقصى جهده تنفيذا لوصية أبي البيض التي أبان فيها عن حقد أسود، وبغض فريد، لا أعرف مثله في أرباب زوايا المغرب ومشايخ طرقه، وكان أبو الفتوح يعلم ما تفعله رسائله في نفس شيخه وهو مريض جدا، والأطباء ينصحونه بعدم الانفعال لما فيه من الخطر عليه، وقد سبق أنني سمعت إبراهيم أصغر إخوة أبي البيض وكان يلازمه يذكر أن أخاه كان يتماثل للشفاء فإذا وصلت رسالة أبي الفتوح انتكست صحته، وأشرف على الموت، كما أخبرني أنه تبرم في شهوره الأخيرة من الكرفطي وأخبرهم أنه لا يخلص له، وإنما هو نفعي يعمل لمصلحته، وكان يأمل من شيخه أن يستقدمه إلى القاهرة ليعمل معه في دار الحديث الخرافية، وبذلك يتيسر له الحج وغيره، ولكن تبخرت هذه الآمال، فيئس الكرفطي واستعجل موت شيخه ليقوم بادعاء المشيخة، وقد درس الأحوال، وعرف من أين تؤكل الكتف، ويظهر أن هذا الأمر ما زال يعاوده إلى الآن رغبة في الانتقام، فدسّ إلى زعنان المغفل أن يقوم بالسب والشتم لاستفزازي، ولم يعلم الأخوان في الضلال والمسخ أنني لا أُستغفل ولا تُشترى ذمتي، وأنني أقول ما أعتقده صوابا، ولهذا قلت أولا عن كتاب السفياني (تنبيه القاري) بأنه لا يقبل الرد، لبنائه على أقوال المردود

عليه أبي البيض ككتابي هذا، ولهذا لم يجد زعنان إلا حجة مفلولة، وهي : التكذيب والمصادرة المقرونة بالوقاحة المتناهية .

***

و قبل أن أضع القلم لابد أن أنصح للشيخ والتلميذ بالكف عن الدجل والزور، والتوبة إلى الله توبة نصوحا، خصوصا لأبي الفتوح، وأهمس في أذنه : إنه لا تصح توبته حتى يعلن باللسان والقلم توبته من تلك الفضائح والجرائم التي سوّد بها مآت الصفحات، وهي ما زالت عنده .

و ها قد تبين الصبح لذي عينين، وتيقن أن تلك الحلى والألقاب التي كان يضفيها شيخه عليه لا طائل تحتها، وأنها فارغة، وإن اعتد بها وفاخر في كتابه (الأنيس والرفيق) .

كما تبين له أن تلك المنامات والرؤى التي كان يعبّرها له شيخه لم يتحقق منها شيء، وأنها كانت كسراب بقيعة الخ. خصوصا ما بشره به من الولاية، وأنه سيفوق درجة الحراق وابن عجيبة في الخصوصية والشعر ؟! وأنه سيدرك الإمام المهدي وسيكون من أعوانه ؟! إلى آخر تلك الخزعبلات والترهات .

و قد بلغني أنه زار الإمام الخليفة !! ياسين بعرينه بسلا وسأله عن تلك المنامات المتكاثرة، والبشارات المتناثرة، فأجابه بأنها تواطأت على معناها فلا بد من وقوعها سنة 2006 م من تاريخ النصارى ؟!! وقد سمعته في شريط –رزقه الله العقل– يقول عن تلك السنة : 2006 وما أدرك ما هي . وقد انقضت السنة، ولم يظهر إلا الضباب، ومع ذلك فإن التربية الصوفية كفيلة بتسويغ كل ما لا يخطر على بال من الحماقات، والتفاهات، والخرافات، والأساطير ...

ورحم الله من عرف قدره، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا أله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا ونبينا وقائدنا وإمامنا، يوم يدعى كل أناس بإمامهم، محمد، وآله، وصحبه أجمعين .

تطوان مساء الثلاثاء 28 ذي القعدة 1427 هـ .

و كتب

أبو أويس محمد بوخبزة الحسني

عفا الله عنه

كتب للمؤلف

جراب الأديب السائح لتغدية الألباب والقرائح . في 12 مجلد.

الشذرات الذهبية في السيرة النبوية .

صحيفة السوابق وجريدة البوائق.من جزئين.

فتح العلي القدير في التفسير (وهو تفسير لبعض سور القرآن الكريم).

نظرات في تاريخ المذاهب الإسلامية وأصول مذهب مالك.

ملامح من تاريخ علم الحديث بالمغرب.

نشر الإعلام بمروق الكرفطي من الإسلام .بتحقيق الشيخ أبي الفضل عمر الحدوشي

أربعون حديثا نبوية في نهي عن الصلاة على القبور واتخاذها مساجد وبطلان الصلاة فيها. الأدلة المحررة على تحريم الصلاة في المقبرة .

دروس في أحكام القرآن من سورة البقرة.

رونق القرطاس ومجلب الإيناس .

تحصين الجوانح من سموم السوائح.

إبراز الشناعة المتجلية في المساعي الحميدة في إستنباط مشروعية الذكر جماعة .

ديوان الخطب .

نقل النديم وسلون الكظيم.

إيثار الكرام بحواشي بلوغ المرام.

النقد النزيه لكتاب تراث المغاربة في الحديث وعلومه.

تعليقات وتعقيبات على الأمالي المستظرفة على الرسالة المستطرفة

الجواب المفيد للسائل والمستفيد .(باشتراك مع الشيخ أحمد بن الصديق)

استدراك على معجم المفسرين (طبع في بيروت من جزئين بعد أن تصرف فيه).

ذكرياتي مع الشيخ الألباني.

سقيط اللآلى وأنس الليالي.

حفنة در

كنينيش .

قصائد شعرية متفرقة .

عجوة وحشف.

رحلاتي الحجازية.

المعجزات النبوية بين الإيمان والجحود.

إفادة النصيح في التعريف بسند الجامع الصحيح.

ومن تحقيقات الشيخ حفظه الله:

- تحقيق جزء من النوادر والزيادات لابن أبي زيد القيرواني. طبع في 15 مجلد.
- تحقيق جزء من "التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد" للحافظ ابن عبد البر .
- تحقيق أجزاء من "الذخيرة" للقرافي المالكي طبع في 13 مجلد.
- تحقيق أربعون حديثا في الجهاد لعلي بركة الأندلسي.
- تحقيق الرسالة الوجيزة المحررة في أن التجارة إلى أرض الحرب وبعث المال إليها ليس من فعل البررة .للفقيه محمد الرهوني.
- تحقيق وصية بن عمار الكلاعي لإبنه.
- تعليق على الرائية لإبن المقرئ اليمني في الرد على الاتحاديين.
- فهرس مخطوطات خزانة تطوان.
- تحقيق شهادة اللفيف لأبي حامد العربي الفاسي.
- تحقيق شرح القاضي عبد الوهاب على الرسالة لإبن أبي زيد القيرواني.

- تحقيق سراج المهتدين لإبن العربي المعافري .

هذا ما تيسر جمعه من مؤلفات الشيخ أبي أويس حفظه الله

وهي ما بين مطبوع ومخطوط. يسر الله طبع المخطوط منها ونشره ليعم نفعه.

الفهرست

الفصل الأول في قوله بوحدة الوجود، ووجوب اعتقادها، وأنها محض الإيمان، ومن لم يؤمن بها ففي إيمانه خلل.

الفصل الثاني تفسيره القرآن بالرأي وجزمه بأن رأيه المختار هو مراد الله تعالى وحلفه بالله تعالى على أنه مراده تعالى الله عن عبثه بكتابه المقدس.

الفصل الثالث قوله بفناء النار أو أن عذابها ينقلب عذابا ونعيما وتنويهه بكلام ابن القيم في ذلك في كتابه (حادي الأرواح وغيره)

الفصل الرابع قوله بجواز رؤية الله تعالى يقظة ومناما في الدنيا وادعاؤه ذلك

الفصل الخامس قوله بجواز ؛ بل واستحباب الاستغاثة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، بله التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم . وقد استغاث بالنبي صلى الله عليه وسلم وهتف باسمه وحده، وبعده مباشرة لفظ نفسه الأخير.

الفصل السادس قوله بأن معية الله تعالى لخلقه مطلقة وليست بالعلم بل بالذات، وتفويضه في معاني الصفات لا في التكييف

الفصل السابع قوله بأن فرعون مات على الإيمان، ورده على من قال بخلاف ذلك، ودفعه لآيات القرآن الواردة بذلك بالصدر.

الفصل الثامن قوله بتصرف الأولياء المطلق في الكون، وإيمانه بديوانهم، والقطبانية وأن القطب منهم يتصرف في ستة عشر ألف عالم، الدنيا والآخرة عالم واحد منها.

الفصل التاسع قوله بإحياء الأولياء للموتى، وتصرفه في ذلك بالهوى، فآمن ببعض وكفر ببعض، والدعوى واحدة.

الفصل العاشر اعتقاده حضور النبي صلى الله عليه وآله وسلم بذاته في كل زمان ومكان، وادعاؤه أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يعلم الغيب كله حتى الخمس التي لا يعلمهن إلا الله.

الفصل الحادي عشر قوله بالتصوف الباطني الفلسفي، واعتقاده أنه التصوف الحق، وأن معظم الصوفية لم يشموا له رائحة، لأنه لا يدرك إلا بالذوق، وغايته وحدة الوجود، مع جزمه بأن من لا يعتقدها فلا إيمان له .

الفصل الثاني عشر شتمه لعدد (6) من الصحابة على رأسهم معاوية، وقوله بردتهم، وردّه القول بعدالتهم رضي الله عنهم، ولعن مبغضهم.

الفصل الثالث عشر جزمه بأن أغلب الصحابة كانوا يبغضون علياً وأنهم لذلك منافقون لحديث "لايحبك إلا مؤمن"، وغلوه في علي وإشارته إلى أنه كان يوحى إليه.

الفصل الرابع عشر ميله القوي إلى التشيع والرفض، وتنويهه بالرافضة، وروايته عنهم، وإشادته بكتبهم.

الفصل الخامس عشر قوله بوصية علي رضي الله عنه بالمفهوم الشيعي، وتقديمه على إخوانه الخلفاء الراشدين الثلاثة

الفصل السادس عشر قوله باستحباب اتخاذ القبور مساجد، وغُلُوُّه في ذلك حتى زعم أن الصلاة في الزاوية المقبورة أفضل من غيرها.

الفصل السابع عشر استحبابه الرقص اليهودي أثناء ما يسمونه : الذكر والحضرة والعمارة، والتي تنشد أثناءها أشعار الاتحاد والحلول والوحدة على نغمات المزامير ونقر الطبول، وبأصوات المردان واستحبابه لسجود المريدين له، لتقبيل قدميه، وهي فاقرة موروثة عن مشايخ الطرق، مع حمل السبحة الوثنية في الأعناق.

الفصل الثامن عشر احتجاجه بالأحاديث الموضوعة والواهية مع معرفته بها، و قد استكثر من ذلك في كثير من مؤلفاته.

الفصل التاسع عشر قوله بالبدعة الحسنة في الدّين، ونصرته لكثير من البدع أخذا بهذا المبدأ وإنكاره للقياس مطلقا.

الفصل العشرون وقيعته في كثير من علماء الحديث، والسلف الصالح، ولا سيما شيخ الإسلام ابن تيمية وتلامذته وأنصاره، وتنفيره المسلمين من كتبهم، وأنها وحدها سبب الضلال !؟

الخاتمة

كتب للمؤلف